المسكوت عنه في مصر المحروسة

الفصل الأول

صور من الحياة اليومية للمصريين

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

1 إهداء الزهور حلال أم حرام

هل إهداء الزهور لمريض حلال أم حرام ؟ وهل وضع المانيكير لتجميل أصابع اليدين والقدمين للنساء حلال أم حرام ؟ وهل إطالة الثياب حتى نهاية القدمين حلال أم حرام ؟ وهل لبس المرأة الحلق حلال أم حرام ؟ وهل شغل أنفسنا بقذف أفغانستان وحرب الإبادة الإسرائيلية للشعب الفلسطيني والإبادة الأمريكية للشعب العراقي وضرورة تحديد موقفنا من العولمة ومنظمة التجارة العالمية واهتمامنا بآثار غياب التعددية وحرية التعبير، واهتمامنا بقضية الفقراء وازدياد عددهم وتكدس الثروات في أيدي حفنة قليلة من البشر، وحرمان الغالبية العظمي من حقهم المشروع في حياة آدمية كريمة ، ومسئوليتنا في تقويم الحكام ، وترشيد قراراتهم المصيرية تجاه الوطن ، ومطالبتنا المستمرة بتوفير الدواء والغذاء والسكن الصحي وكسائر الخدمات الصحية والتعليمية للمواطن العادي حلال أم حرام ؟

أيهما له الأولوية وأيهما الأكثر إلحاحا، وهل هناك تناقض بين الاهتمام بالقضايا الحياتية اليومية للإنسان، وبين الاهتمام بالقضايا القومية والكونية التي تحاصرنا وتحدد مصائرنا داخل أوطاننا وفي عقر منازلنا .

وهل المطلوب من الإنسان مسلما أو مسيحيا أن يركز فقط على القضايا المحورية التي تتعلق بتوفير حياة سوية متوافقة مع نصوص وتعاليم الأديان التي تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر، ويتجاهل تحديات العصر ومشاكله، هل يتناقض هذا مع ذاك؟

تأمرنا الأديان بأن نكون مواطنين أسوياء في سلوكنا الشخصي أي نلتزم الصدق والأمانة مع أنفسنا، ومع الآخرين وهذا يستلزم وقوفنا ضد كل أشكال الشر والأذى أي محاربة النفاق والانتهازية والفساد سواء في تعاملاتنا الفردية أو في موقفنا مع الحكام والمسئولين وأن نملك الجرأة والشجاعة لرفع صوت الحق والدفاع عن المظلومين والمضطهدين والمهمشين في كل مناحي الحياة داخل الأسرة وفي سائر المؤسسات الاجتماعية والسياسية في المدرسة والحزب والنادي وكافة التنظيمات المجتمعية ، فندعو بالمعروف إلى اتباع صوت الحق والضمير ، وإعمال العقل وترسيخ مبادئ العدل والحرية بالحرص على حقوق الآخرين ووضعهم في حساباتنا عندما تجمح بنا طموحاتنا وأطماعنا الفردية ومراعاة المصلحة العامة التي تضمن للجميع حدا أدنى للعدالة والأمان، والاستقرار الحقيقي

الأمران متداخلان ومترابطان، أن نكون مؤمنين بجوهر الدين الصحيح، وألا نغفل ما يطرحه عصرنا من تحديات وهموم وقضايا تقتضي منا عدم إهدار طاقاتنا في توافه الأمور، أو هوامشها وتغليبها على حقائق عصرنا وما يطرحه علينا من تحديات تنال من كرامتنا كبشر ومن حقوقنا كمواطنين وتجبرنا على إغفال ما هو جوهري والانسياق وراء قوى محلية أو عالمية مهووسة بمصالحها الذاتية إلي حد إلغاء وجود الآخرين الذين يشاركوننا الحياة علي هذا الكوكب أو التمسك باجتهادات دينية كانت تناسب ظروف زمنها .

أن نحارب الفساد والنفاق والشللية وروح الأنانية المتفشية لدى نسبة كبيرة من مختلف الأجيال وأن نتسلح بقوة الإيمان وشجاعة المعرفة وألا نتوانى عن إعلاء صوت الحق في حضرة سلطان جائر وأن نتبني قضايا المستضعفين ونحافظ على نظافة أبداننا ونقاء ضمائرنا وأن نمد أيدينا للتعاون بصدق وإخلاص مع كل

الشرفاء ، وأن نتحكم في غرائزنا وروح الأنانية المقيتة المتأصلة في نفوس البعض وأن ندرك أن الحياة رحبة وفيها متسع للجميع للإبداع والتفوق والازدهار في إطار التعاون والتواصل واقتسام الفرح مع الآخرين وألا نغفل في ذات الوقت عن متابعة ما يجري حولنا بالمعرفة والمشاركة وتبني المواقف الصحيحة في مواجهة الظلم والقهر والافتراء محليا في داخل بيوتنا ومواقع عملنا وعالميا في مواجهة قوى الشر والاستكبار التي تحاصرنا حيثما توجهنا تغتصب أراضينا وتشرد شعوبنا وتقتل أطفالنا وتهدد حضارتنا.

هذا هو جوهر الدين الصحيح ، أن ندرك التشابه العضوي العميق بين الخاص والعام وأن نراعي التوازن والإنصاف في تعاملنا مع أنفسنا ومع الآخرين وأن نبتعد عن التعصب الممقوت والتحيز المهين والانكفاء على الذات ، وألا نكف عن التعلم والاستفادة من دروس التاريخ . اللهم بلغت اللهم فاشهد.

صوت الجامعة ٢١ نوفمبر ٢٠٠١

2 الفقر في عيون الميسورين

هناك ٢,٨ مليار خبير فى الفقر هم الفقراء أنفسهم ومع هذا فإن خطاب التنمية المتعلق بالفقر سيطرت عليه وجهات نظر وخبرات غير الفقراء من المهنيين والسياسيين وموظفى الوكالات والبنوك الدولية. ومن وجهة نظر الفقراء فإن البؤس أو سوء نوعية الحياة يتجاوز كثيراً الفقر المادى وحده إذ أن له أبعاداً متعددة ومتشابكة وتتضافر هذه الأبعاد كى تبقى وتديم حالة العجز أى انعدام حرية الاختيار والعمل ويرى من وقعوا فى براثن الحرمان المتعدد أن الإفلات منه يتطلب نضالاً شاقا، وتبرز من تجارب الفقراء عدة أبعاد متشابكة من العجز والبؤس تدور حول عدم استقرار أسباب الرزق وافتقار المناطق التى يسكنها الفقراء إلى الخدمات الأساسية والجوع والإرهاق وسوء المظهر علاوة على اضطراب العلاقات بين الرجل والمرأة وافتقاد الإحساس بالأمان والعزلة الاجتماعية والمعاناة من تعالى وغطرسة الآخرين فضلاً عن ضعف منظمات الفقراء وعدم ترابطها بسبب الافتقار إلى التعليم والمعلومات والمهارات.

هذا ويشير نعوم شومسكى فى كتاب «الإمبراطورية الأمريكية» الذى شارك فى إعداده نخبة من المفكرين الأمريكيين وغير الأمريكيين ومنهم مجموعة من الكتاب العرب إلى أن نسبة من يعيشون تحت خط الفقر فى أمريكا «أغنى دولة فى العالم» يتجاوز ضعف النسبة فى الدول الصناعية الأخرى وأن واحداً من كل أربعة أطفال أقل من عمر السادسة يعيش تحت خط الفقر وأن ٣٠ مليوناً أمريكيا منهم ١٢ مليون طفل يعانون الجوع فى أمريكا، كما أن هناك مليون و٨٠٠ ألف سجين

تستخدمهم أمريكا فى إنجاز الأعمال التى لا يستطيع أصحابها تحقيق الربح دون هذا النوع من العمالة، وبالنسبة للعالم العربى كانت نسبة الفقراء فى السبعينيات لا تزيد على ٦٪ أصبحت الآن ٢٧٪ وذلك طبقاً لتقرير البنك الدولى.

وإذا كانت أمريكا تعد قاطرة الاقتصاد العالمى إلا أن معظم المراقبين يرون أن أحداث سبتمبر وما تلاها من تداعيات تمثلت فى استشراس أمريكا فى مواجهة شعوب العالم تؤذن بأن دور أمريكا فى قيادة اقتصاد العالم ربما يكون قد وصل إلى المحطة قبل الأخيرة. كما أن هذه الأحداث وتداعياتها المرعبة ستزيد من احتمالات الكساد العالمى الذى يقدر الخبراء أنه سيكون أطول وأعمق من كساد السبعينات والثمانينات وتبرز النتائج السلبية لأحداث سبتمبر فى زيادة خسائر الاقتصاديات العربية التى زادت بسبب تبعيتها للاقتصاد الغربى فقد تراجعت حركة السفر من وإلى العالم العربى بنسبة ٣٥٪ مما تسبب فى حدوث خسائر تبلغ ١٠ مليارات دولار كما انخفض تدفق الاستثمارات إلى العالم العربى وتأثرت الاستثمارات العربية فى الخارج بالكساد فى الدول الصناعية المتقدمة وتشير سوزان جورج رئيسة مرصد العولمة فى باريس والمدير المشارك فى معهد أمستردام إلى وجود حكومة عالمية واحدة غير ديمقراطية هدفها تسخير كل الأنشطة الإنسانية والبشرية من تعليم وثقافة وصحة لتعظيم ثروة مجموعة صغيرة من الدول والشركات المتعددة الجنسيات على حساب باقى شعوب الأرض.

فقد بات واضحاً للجميع أن ٢٠٪ من البشر يستهلكون ٨٤٪ من الثروة العالمية بينما يحصل ٦٠٪ على ١٢٪ من ثروة العالم ويوجد ٤٨٥ ميليارديراً على امتداد الكرة الأرضية يتحكم ثلاثة منهم فى ثروة تساوى قيمة الإنتاج القومى لـ ٤٨ بلداً مما ترتب عليه حدوث أزمات مالية حادة مثال المكسيك التى انهارت فيها ٢٨ ألف مؤسسة بعد الأزمة المالية عام ١٩٩٥ وأصبح نصف سكانها يعيشون تحت خط

الفقر وهناك فى روسيا ٧٤٪ من سكانها يعتبرون من الفقراء الحقيقيين، وترى سوزان جورج أن الديون ليست مشكلة مالية ولكنها سياسية وأنها مفيدة لدول الشمال أكثر من الاستعمار لأنها لا تحتاج إلى جيش لإخضاع الناس.

وتتحكم الشركات متعددة الجنسيات فى ٧٠٪ من اقتصاد العالم من خلال الثلاثى المعروف، البنك الدولى، وصندوق النقد الدولى، ومنظمة التجارة العالمية. كما أن نظام العولمة الراهن يعمل لصالح ١٠٪ من سكان العالم ولا تقتصر مساوئ العولمة على سكان العالم الثالث بل تشمل الفئات الكادحة من الأوروبيين والأمريكيين وفى ظل العولمة أصبح الصراع الطبقى عالمياً بين الدول الفقيرة والدول الغنية وازدادت حدته بعد انفراد أمريكا بالسلطة العالمية وتزايد نفوذ الشركات متعددة الجنسيات.

ولمواجهة العولمة المتوحشة يقترح مناهضو العولمة ما يلى:

١- إقامة اتحادات وطنية قوية.

٢- جعل التجارة العالمية متساوية وعادلة وليست حرة.

٣- إخراج التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية من السوق.

٤- فرض ضريبة على رأس المال الدولى.

٥- إلغاء ديون العالم الثالث.

٦- إعادة هيكلة البنك والصندوق الدوليين ومصادرة ثروات حكام الدول المدينة.

وإذا لم تتحقق هذه الإصلاحات فإن البديل الوحيد المتوقع هو حدوث المزيد من المجاعات والاضطرابات والحروب الأهلية لأن الفقر المسلح سوف يخرج إلى الشارع وحينئذ لن تفلح الثروات المكدسة فى حماية أصحابها من انتقام الفقراء.

صوت الجامعة- ١٣ نوفمبر ٢٠٠٢

3 أنشودة نسائية ضد أمريكا والصهيونية

اجتمعنا للإعداد لمظاهرة (النساء ضد الحرب) للمشاركة فى احتفال نساء العالم بيوم ٨ مارس العيد العالمى للمرأة الذى تم الاتفاق على أن يخصص هذا العام لمساندة الشعب العراقى ضد الهجمة الأمريكية. كان الاجتماع يضم نخبة من النساء المصريات والعربيات من جميع الأجيال. ناقشنا المكان ميدان التحرير أمام الجامعة العربية والزمان الساعة الواحدة ظهرا تناقشنا فى الشعارات التى تكتب على اليافطات والملابس السوداء والكوفية الفلسطينية وهل ستكون مظاهرة صامتة أم بالهتافات وحرصاً على حفظ النظام داخل المظاهرة استقر الرأى على اختيار لجنة نظام .. ورغم أن حكومة الحزب الوطنى كانت قد نظمت فى اليوم السابق مظاهرة كبرى شارك فيها بضعة آلاف من جميع الاتجاهات والتيارات السياسية والمستقلة كى تعلن للعالم احتجاج مصر الرسمى والشعبى ورفضها القاطع للعدوان الأمريكى على العراق غير أن ذلك لم يحل دون إدراكنا لاحتمالات الاعتقال واستخدام العنف من جانب قوات الأمن خصوصاً وأن السلطة كانت لا تزال تحتجز فى سجن طرة بعض الشباب الذين شاركوا فى مظاهرات الأسبوع الماضى.

تساءلت إحدى الشابات من حديثات العهد بالمظاهرات قالت لماذا تفترضون أن قوات الأمن سوف تتصدى لنا والحكومة ذاتها قامت بمظاهرة كبرى ضد العدوان الأمريكى على العراق خصوصا بعد أن امتلأت شاشات التليفزيون بالمظاهرات فى كل أنحاء الأرض من أندونيسيا وباكستان إلى استراليا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا

وأمريكا اللاتينية وداخل أمريكا نفسها للحيلولة دون نشوب حرب سوف تبدأ بالعراق ولن يقتصر ضحاياها على أهالينا فى بغداد والبصرة والموصل وكركوك أستثيرت إحدى المناضلات المخضرمات وهى أستاذة جامعية وأديبة مرموقة ثم بدأت تشرح للشابه بهدوء كيف أن الحكومة توافق على خروج المظاهرات من عباءتها وتتصدى لمن يتظاهرون خارج العباءة الحكومية حتى ولو حملوا نفس الشعارات وعبروا عن ذات المواقف الحكومية. أصيبت الشابة بالدهشة وظلت تتساءل لماذا تتناقض الحكومة مع نفسها ولماذا تصر على أن تظهر مصر أمام العالم منقسمة إلى معسكرين رغم أن الخطر الذى يهددنا واحد والعدو واحد ولن تفرق صواريخ بوش بين الشعوب وبين هؤلاء الذين يحتمون بقصور الحكم . سرحت طويلا فيما تقوله هذه الشابة واستعدت على الفور المشهد اليومى الكئيب الذى يصادفنى على أبواب الجامعة والذى يتمثل فى عشرات المصفحات تطل منها وجوه الجنود الصغار يقبضون على هراواتهم وبنادقهم استعداداً لأى طارئ قد يحدث من جانب أشقائهم طلاب الجامعة .. وهذا الحدث الطارئ لن يكون سوى مظاهرة احتجاج سلمى ضد الغطرسة الأمريكية والاصرار على تدمير بلد عربى شقيق كان مهدا للحضارة العربية الإسلامية وكنا دوما نختزنه قوة احتياطية لمواجهة أهوال الصهيونية وجرائمها ضد أبطالنا الصامدين من النساء والرجال والأطفال فى فلسطين المحتلة.

فى مواجهة هذه المصفحات التى تحاصر الجامعة كنت أتمتم كل صباح فى غضب أتساءل لماذا؟ لماذا تصر حكومة الحزب الوطنى على خنق أصوات الوطن؟ أليس الأجدر أن توجه هذه البنادق إلى الأعداء الحقيقيين؟ أليس الأكرم أن ينضم هؤلاء الجنود إلى الطلاب يهتفون فى صوت واحد تسقط الغطرسة الأمريكية ويحيا كفاح الشعب المصرى والشعوب العربية. ألم يكفينا أن أمريكا نجحت فى احتلال أراضى

خمس دول خليجية بمائتى ألف عسكرى سوف ينطلقون منها لتدمير حضارة وحياة وشعب عربى شقيق وإلى متى نصبر ونحنى رؤوسنا خوفاً من البطش الأمريكى وهل ننتظر حتى تداهمنا شراذم اليانكى فى غرف نومنا، وتدوس بأقدامها ما تبقى من كرامتنا الوطنية والإنسانية وهل نرضى أن نطأطئ رؤوسنا مقابل حفنة من أرغفة الخبز الأمريكى المعجون بدماء أشقائنا وأحبتنا فى فلسطين والعراق دوامات لا تنتهى من التساؤلات الممزوجة بالحسرة والأسى ترافقنى حتى أبواب المدرج وأنزع نفسى قسرا وأتظاهر بالثبات أمام طلابى عندما أحدثهم عن أحدث نظريات العلم فى الصحافة والإعلام فى وطن مهدد وزمن عصيب .

فى اليوم التالى لبست الكوفية الفلسطينية والملابس السوداء وعندما كنت أهم بالخروج من المنزل بادرنى حفيدى متسائلاً أنت رايحة المظاهرة يعنى إيه، مظاهرة وهل أمريكا تخاف من المظاهرات؟ وعدته أن أشرح له بعد عودتى - هرولت مسرعة إلى أول تاكسى قابلنى سألنى سائق التاكسى هل تريدين الجامعة العربية إنها محاطة بجنود الأمن المركزى قلت له: إننى سوف أشارك فى المظاهرة ضد ضرب العراق انفرجت أساريره وصاح مبتهجا يا بختكم ياريت أقدر أركن التاكسى وأروح أشارك معاكم ولكن أكل العيش . قلت له كى أطمئنه لا تحزن إنها للنساء فقط انهمرت كلماته كالسيل (كل الناس عايزة تشارك وتعبر لولا الخوف من بهدلة العساكر لينا، ليه يعملوا فينا كده هو احنا صهاينة إحنا ضد أمريكا وإسرائيل والذل والفقر اللى جابوه لنا هم يوم ما اصطلحنا معاهم).

حاولت أن أهدئ من روعه وأسرعت بالنزول من السيارة وعندما هممت بإعطائه الأجرة رفض بإصرار وودعنى بصوت متهدج قائلا: ربنا معاكم وربنا يستر على البلد من الأهوال اللى جاية.

اعترضنى فى مدخل المظاهرة بعض الشباب من الضباط قلت لهم مش حاتهتفوا معانا قالوا فى نفس واحد طبعا هو إحنا مش مصريين ولا إيه قلت لهم أنتم مصريين ونص وياريت تطبقوا الكلام ده فعلاً.. حملنا اليفط ورفعناها عالية كى يراها المارة فى ميدان التحرير وتسلقت بعض الشابات سور الجامعة الأمريكية وارتفعت حناجرهن بالهتافات لمساندة الشعب العراقى قالوا (يا عراق يا عراق كل الشعب العربى فداك)، (يا بغداد يا بصرة يا غزة الاستشهاد فى سبيلكم عزة)، (فدائية فدائية من بغداد لإسكندرية) (دجلة والفرات حالفين ياخدوا بتارك يا فلسطين).

وفى مواجهة أمريكا قالوا (يا أمريكا لمى جيوشك بكره الشعب العربى يدوسك)، (الشعب العربى شادد حيله مش حنطاطى لبوش ولا غيره)، (بس يا بوش فاهمين ألاعيبك الشعب العربى مش حيسيبك).

(قولوا ورايا يا شباب أمريكا أصل الإرهاب)، (أسرة واحدة عربية ضد الحرب الأمريكية والمذابح الصهيونية) وفى مواجهة الإجرام الصهيونى فى فلسطين هتفوا (اسمع أم شهيد بتنادى الصهاينة قتلوا أولادى)، (الصهاينة الأندال ياما قتلوا منا رجال)، (الصهاينة الكلاب ياما قتلوا منا شباب)، (راح حقولها جيل ورا جيل بنعاديك يا إسرائيل) (يا صهيونى اطلع بره مصر بلدنا حتفضل حره).

فى أول مطلب للجماهير طرد سفير إسرائيل (قولوا ورايا يا شباب إسرائيل رمز الإرهاب)، (طفل ماخدش الرضعة ياناس جات له الرضعة فى صورة رصاص)، (اللى حيضرب فى فلسطين بكره حيضرب فى الحسين).

ولمصر تعالت الهتافات (عاش كفاح الشعب المصرى)، (قولوا لحاكم مصر وسوريا أمريكا بتخاف من كوريا)، (علشان أهلى عشان أولادى مش راح أفرط فيك يا بلادى)، (مش حنسلم مش حنطاطى إحنا كرهنا الصوت الواطى)، (اعلوا

ـعلوا وعلوا الصوت اللى حيهتف مش حيموت).

ظللت أتأمل وقع الهتافات على وجوه العساكر الذين يحاصرون المكان وتساءلت فى نفسى ترى كم شهيد من أقاربكم اغتالته الصهيونية فى حروبنا المتوالية ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣ وكم مريض سقط صريعا بفعل التقاوى الزراعية الصهيونية المسمومة التى أحالت خضرواتنا وفاكهتنا إلى قنابل صغيرة داخل أحشائنا فى ظل السلام البارد وكم أطفال لم يولدوا بعد سوف يحملون الراية ويواصلون مسيرة الشهداء الأبرار ومتى تظهر بوادر الفجر القادم.

العربى الناصرى مارس ٢٠٠٣

4 أين موقع العرب على خريطة العالم

أليس مثيراً للدهشة أن ينقسم العالم إلى قطبين، قطب كبير يضم شعوب العالم التى أعلنت رفضها القاطع واحتجاجها على العدوان الأمريكى على العراق عبر مظاهرات حاشدة اجتاحت الدول والمدن فى شمال العالم وجنوبه وشرقه وغربه فى مواجهة قطب صغير يضم ثلاث دول هم أمريكا وتوابعها من الخدام الصغار بريطانيا وأسبانيا، القطب الأول الأكبر يملك لحق ويختزن فى ذاكرته ووجدانه ويلات ومرارات الحروب السابقة وخسائرها البشرية الفادحة والقطب الثانى الأصغر يفتقر إلى المشروعية ولكنه يملك أحدث تكنولوجيا الدمار الشامل ويصر على شن حرب غير عادلة ومرفوضة بإصرار من جميع شعوب الأرض.

كثرث التساؤلات عشية اجتماع مجلس الحرب الثلاثى الجهنمى فى قاعدة عسكرية نائية يجتمع ليستمع إلى ما خططه العسكر يناقش لدفع العسكر للذهاب إلى أبعد مما خططوه ويقرر فتتحرك الآليات وتجتاح وتقتل وتدمر وتحتل، لا يدرس هذا المجلس الانعكاسات الخارجية ولا يعنيه مجلس الأمن ولا الأمم المتحدة ولا ينصت إلى أصوات الحشود الغاضبة من ملايين البشر، كثرت التساؤلات عن مصير النظام الدولى الراهن وهل ستعد الحرب المؤكدة بنظام دولى جديد؟ إن الانعكاسات السلبية تخيم بظلالها القاتمة على المناخ الدولى من الأمم المتحدة إلى الاتحاد الأوروبى إلى حلف الأطلسى ومن العلاقات الغربية الغربية إلى العلاقات العربية العربية عدا ذلك فإن الزلزال فى العراق الذى قد يقلب الأوضاع الإقليمية

رأساً على عقب مما سيؤدى إلى تهميش القضية الفلسطينية فى مواجهة أعباء ما بعد الحرب التى ستكون أكثر ضغطاً فى مرحلة إعادة بناء النظام الإقليمى وعلى الجانب الآخر تبدو أمريكا فى أشد حالات الغطرسة والاستبداد حتى مع أقرب حلفائها الذين بغيرهم لم يكن ممكناً لها مطلقاً أن تكسب الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى الأوروبى كما لم يكن ممكناً أن يصمد الاقتصاد الأمريكى بكل أمراضه المستعصية والمسكوت عنها إعلامياً وأمريكياً لولا بلايين الدولارات التى تتدفق يومياً من هؤلاء الحلفاء للاستثمار داخل أمريكا وقد عبر أحد الرسامين الأمريكيين المعارضين للحرب عن أزمة الاقتصاد الأمريكى فى ملصق يظهر فيه بوش مرتدياً قبعة طويلة بألوان العلم الأمريكى يشير إلى جانب الصورة داعياً المواطن الأمريكى للمشاركة فى الحرب قائلاً له «نريدك أن تنسى كل شيء عن البنوك المنهارة والتعليم والمخدرات والإيدز والبطالة والفساد والجريمة المنظمة والعنصرية والرعاية الصحية المتدهورة تمتعوا بحرب طيبة».

وإذا كانت اللحظة الحالية تمثل منعطفاً حرجاً وحاسماً فى التاريخ المعاصر إذ تنذر باختفاء الخريطة الراهنة الأحادية القطب للعالم وظهور خريطة جديدة متعددة الأقطاب فإن السؤال الذى يطرح نفسه بإلحاح أين موقع العرب على الخريطة الجديدة.

لقد ساهمت الحكومات العربية بكفاءة غير مسبوقة فى خلق العديد من اللحظات الحرجة فى التاريخ العربى الحديث منذ النكبة عام ١٩٤٨ والهزيمة عام ١٩٦٧ والاجتياح الإسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢ والاجتياح العراقى للكويت عام ١٩٩٠ وها نحن الآن أمام سنة الحرب الأمريكية على العراق عام ٢٠٠٣ هذا عدا عشرات الانقلابات والحركات التصحيحية والحروب الأهلية والاختناقات

السياسية أحياناً والاقتصادية أحياناً أخرى، وسنوات الاستعمار ثم الاستقلال، معظم الحكومات العربية مضى عليها عقود وهى فى الحكم وأكثر لحظاتنا حرجاً وخطورة حدثت خلال هذه الفترة تحديداً والتاريخ يؤكد مسئوليتها عن كل ما حدث لكنه يقول أيضاً إنها لم تتعلم من اللحظات الصعبة التى ساهمت فى خلقها أو تسببت فيها على كثرتها لماذا؟ لأن التعلم يترتب عليه ثمن سياسى والأنظمة العربية ليست مستعدة لدفع هذا الثمن، والشعوب العربية دفعت ولا تزال تدفع ثمن أخطاء الحكومات وليس أمامها خيار الآن سوى مواجهة أقدارها بصبر ينطوى على إرادة التغيير القادم لا محالة.

صوت الجامعة ٢٦ مارس ٢٠٠٣

obeikan.com

5 خط الدفاع الأخير

استمعت إلى أحد برامج التليفزيون المخصصة لقياس المعلومات العامة لدى شباب الثانوية العامة من الفتيان والفتيات، وقد أفزعنى كم الجهل بتاريخ مصر السياسى والاجتماعى، والثقافى، ولقد بح صوتنا من المطالبة بضرورة وضع برامج ومقررات دراسية متكاملة وشيقة لتدريس تاريخ الوطن مصرياً وعربياً، خصوصاً أن المسابقات الدولية التى تنظمها «اليونسكو» عن تاريخ مصر بالذات يتفوق فيها دائماً الشباب الأوروبى خصوصاً الفرنسى، وتكمن المأساة فى أن المقررات الدراسية التى يحشون بها أدمغة التلاميذ تبدو وكأنها آيات سماوية لا يمكن إعادة النظر فيها وتنقيتها وإنقاذ التلاميذ من مساوئها، برغم ما تتسم به من جفاف وتجزئ وانتقائية. والسؤال: هل هناك ثروة تملكها مصر أعز من عقول أبنائها؟ وهل هناك سلاح نستطيع أن نواجه به تحديات الزمن القادم أكثر من المعرفة العلمية المتطورة والمحفزة للإبداع والقادرة على ترسيخ الانتماء للوطن وتاريخه؟ نحن فى أمس الحاجة إلى تدريس تاريخنا القومى بمنظور جديد، إيماناً منا بأن هذه المادة ضرورية للأمن القومى المصرى ولترسيخ الانتماء لدى الأجيال الجديدة، ونحن لا ندعو إلى بدعة فجميع دول العالم تضع فى مقدمة أولوياتها التعليمية تدريس تاريخها القومى – مثلما يدرس تاريخ فرنسا للتلاميذ الفرنسيين وتاريخ أمريكا للتلاميذ الأمريكيين – وتاريخ أفريقيا للطلاب الأفارقة.. كل بلد فى العالم يحرص على أن يغرس روح الانتماء لدى أبنائه وبناته منذ طفولتهم المبكرة من خلال الاهتمام بتدريس تاريخ

الـوطن بأحداثـه وشخصـياته ورمـوزه وأبطالـه فى جميـع مراحـل التعلـيم العـام والجامعى.

نحـن نـدعو جميـع المسئولين عـن التعلـيم فى مصر إلى ضرورة تـدريس التـاريخ المصرى بكامل مراحله الفرعونيـة والقبطيـة والإسـلامية وتـدريس التـاريخ العربـى بمختلف فصوله الدامية والزاهية.

ونحذر من جعل مادة التاريخ مادة اختيارية، فاللغة العربية والتاريخ هما فرض عين وليسا فرض كفاية فى تنشئة وإعداد الأجيال الجديدة.. وأقول هذا وأشدد عليه خوفاً من الخضوع للطوفان القادم الذى يستهدف عقـول أبنائنـا بمزيـد مـن الحشـو واللغو وما يسمى ثقافة التسامح وثقافـة السـلام، وأراضـينا لا تـزال محتلـة ومصـائر أوطاننا لا تزال مهددة، ولم يعد أمامنا سوى خط الدفاع الوحيـد وهـو عقـول أبنائنـا وحمايتها من مخاطر الزمن القادم.

جريدة الأهرام - ١٨ يونيو ٢٠٠٣م

6 مغزى الفوز

فوز محمد عطية بالجائزة الأولى فى أحد برامج الفضائيات العربية والذى تحول فجأة إلى نجم يستقبله الآلاف من الشباب لدى وصوله إلى مطار القاهرة يثير العديد من التساؤلات حول أوضاع الجيل الحالى من شباب مصر خصوصا عندما يصبح الطريق الوحيد للخلاص الفردى ترويج أوهام النجومية وحلم الغنى والثراء بمسابقات الفضائيات.

لقد استطاع من كانوا فى مثل عمر محمد عطية فى الأجيال السابقة أن يشاركوا فى إشعال ثورة ١٩١٩ وقيادة انتفاضة ١٩٤٦ والكفاح المسلح فى القنال عام ١٩٥١ وأن يثوروا ضد المسئولين عن هزيمة يونيو ١٩٦٧ فى مظاهرات الطلبة ١٩٦٨ وضد المسئولين عن إفقار وتبعية الوطن فى مظاهرات الخبز فى يناير ١٩٧٧.

ولكن أصبح جيل محمد عطية محاصراً بين تعليم تلقينى هابط فى المدارس والجامعات يلغى قدراته على التفكير ويصادر حقه فى التعبير ويلقى به بعد التخرج إلى أتون وجحيم البطالة ويجبره على العمل فى المقاهى والكافتيريات لخدمة الزبائن من الأثرياء الجدد من تجار المخدرات والسلاح وأباطرة الفساد الحكومى وسادة السوق، هذا الجيل الذى يقف حالياً فى مذلة على أبواب البرامج الفضائية يستجدى وهما زائفا بالثراء والنجومية.

هل هذا هو مصير الشباب فى مصر فى الوقت الذي يواجه شباب فلسطين جرائم الإبادة اليومية التى ترتكبها الدولة الصهيونية ويواجه الشباب العراقى محاولات

الدمار الشامل التى تقذفها أمريكا وأعوانها ضد الشعب العراقى.

هل هذا هو النموذج المستقبلى أو طريق المستقبل الوحيد الذى يستهدفه ويخطط له النظام المصرى للشباب.

إننى أتساءل وكلى حزن ، هل فوز محمد عطية الذى احتشد له بضعة آلاف من الشباب فى مطار القاهرة ليس ناقوسا يدق لكل من يعنيهم مستقبل هذا الوطن الذى سيصنعه جيل محمد عطية؟ إننى أقدر سعادة محمد عطية بهذا الفوز وأشاركه الفرح الشخصى إلا أننى لا أمنع نفسى من تأمل مغزى هذا الفوز وتأثيره فى مجتمع تضرب البطالة عموده الفقرى وينخر الفساد فى قياداته العليا ويشيع بين أفراده الوهم الزائف بالثراء من خلال برامج ومسابقات الفضائيات التى تروج لكل ما هو معاد للنهوض الجاد وتبدد ثروات الأوطان وتهدر طاقات الشباب بدلاً من القيام بدورها المتوقع فى بناء الاستنارة والوعى بتحديات العصر وتعزيز الانتماء الوطنى والقومى وفتح آفاق المعرفة الحقيقية والعمل الجاد واستنهاض الإرادات للوقوف فى وجه مشاريع الإبادة الصهيونية والأمريكية وتشجيع الشباب على الإبداع الذى يفتح أمامهم طريق المستقبل بدلاً من إهدار أعمارهم فى مسابقات التيه والضياع.

أيها الشباب انتبهوا إن مستقبل أوطانكم لن تصنعه المسابقات الخادعة ولا أوهام الفوز الفردى بل السعى الجاد لفهم حقائق العصر وامتلاك القدرة على التمييز بين هؤلاء الذين يدفعونكم للنهوض من خلال المعرفة والعمل الجاد وأولئك الذين يصرون على تهميشكم وإلغاء أدواركم وحرمانكم من حقوقكم المشروعة فى المشاركة فى ثروات هذا الوطن وتحديد مصائره وذلك يجركم إلى متاهات الضياع وأوهام المسابقات المزيفة.

صوت الجامعة – ١٩/ ٤/ ٢٠٠٤

7 لا أجد تفسيراً مقنعاً

يعلم الجميع أن الحصول على درجة الدكتوراه فى أى فرع من فروع المعرفة يتطلب إعداداً وتأهيلاً علمياً ومهنياً لا يقل عن عشر سنوات، يتردد خلالها الباحث على المكتبات وكبار الأساتذة المتخصصين، ينهل من خبرتهم الأكاديمية ويتابع مناقشاتهم العلمية فى الندوات والمؤتمرات، ومناقشات الرسائل فى القاعات الجامعية، وقد يتعرض الباحث لبعض الأزمات والمشكلات الاجتماعية أو المالية، ناهيك عن الإشكاليات العلمية التى تصادفه فى كل خطوة يتقدم خلالها فى مسيرته البحثية، وقد يكون الباحث سعيد الحظ فتضع الأقدار فى طريقه أساتذة أمناء يمنحونه المشورة الصادقة والرعاية المخلصة ويدفعونه بالتشجيع حتى يشتد عوده العلمى وترتفع قامته تدريجياً إلى أن يبلغ بر الأمان ويحصل على الدرجة العلمية.

أقول هذا بمناسبة الظاهرة التى استشرت فى السنوات الأخيرة والتى تتمثل في وجود حرف «د» الذى يرمز إلى لقب دكتور فى فلسفة العلم أمام العديد من النساء والرجال، الذين أعلم ويعلم الجميع أن تأهيلهم وثقافتهم لم تتجاوز أسوار المرحلة الجامعية الأولى وبتقدير مقبول، ولا أجد تفسيراً مقنعاً لهذه الظاهرة سوى تفشى سطوة المال والنفوذ التى طغت على جميع القيم، ولم يقنع أصحابها بما حققوه من شهرة قد تكون مبنية على أسس حقيقية أحياناً، ولكنها فى الغالب ليست كذلك فامتطوا خيولهم الجامحة، وانتهكوا حرمة العلم وانتحلوا ألقابه لأنفسهم دون وجه حق ودون حياء. إننى أتعجب وأندهش وأتحسر على هذا التبجح والخواء الذى يملأ نفوس هؤلاء البشر.

الأهرام – ١٣/ ١١/ ٢٠٠٤

8 استقالة ضابط شرطة

كان والده يحلم بإلحاقه بكلية الشرطة كى يتخرج ضابطاً تزهو به أسرته ويجدد لوالده ذكرى جده الذى كان يعمل نائب حكمدار بإحدى الأقاليم أوائل القرن العشرين كانت تركيبة الشخص النفسية والذهنية تنفر من ضباط الشرطة وزاده نفوراً منها سطوة والده وتسلطه البطريركى الذى كان يحرص على أن يحيطه بغلاف من السوليفان مدعياً خوفه على مصير ابنه ولو بلى عنقه وإجباره على تحقيق أمنية الأب امتثل الابن ودخل كلية الشرطة وعاش صراعات متصلة خلال سنوات الدراسة بسبب عدم تكيفه مع البيئة البوليسية التى ألحق بها قسرا ثم تخرج واحتفل به والده وكان يرقص طربا عندما رآه بالبدلة والكاب الميرى حيث استعاد ذكريات الأيام الخوالى مع والده ولمعت عيناه ببريق عجيب كان يعكس إحساساً بالنشوة التى لم يعهدها الابن فى والده من قبل استثمر الأب اتصالاته بكبار القوم ونجح فى استثناء ابنه من الذهاب إلى إحدى محافظات الصعيد وتم تعيينه فى أحد أقسام البوليس بالعاصمة أمضى الابن ثمانية شهور فى عمله صادف خلالها أهوالاً من الأحداث والحالات والجرائم وافتراءات رؤسائه وتعليماتهم وكاد يفقد عقله بعد أن فقد صوابه عدة مرات وكان على وشك الاشتباك اليدوى مع بعض رؤسائه فاقدى الضمير والحس الإنسانى مما دفعه إلى الذهاب إلى أحد الأطباء النفسيين بعد إصابته بانهيار عصبى ونفسى نصحه الطبيب بضرورة تغيير المهنة لأن تكوينه النفسى والعصبى لا يلائم هذه المهنة «ضابط بوليس» فهو لا يزال يملك ضميرا حيا وقلبا مرهفا حنونا ونفسا نقية وعقلا يقظا وفى اليوم التالى قدم استقالته وافتتح مكتبا للمحاماة.

صوت الجامعة – ٢٩ مارس ٢٠٠٥

9 السويس في زمن السلم

مدينة السويس..

يا بيوت السويس يا بيوت مدينتى..

أستشهد تحتك وتعيشى إنت..

صوت محمد حمام ينطلق من الراديو مردداً كلمات «الأبنودى» الخالدة عن مدينة السويس، التى وقفت على خط النار فى مواجهة تاريخية شجاعة ضد أعداء الوطن. سمعت الأغنية تنطلق من مذياع بأحد المقاهى رفعت عيناى كى أقرأ لافتة بعنوان (كافيتريا أكسفورد)، والتفت مذهولة إلى الجانب الآخر من الشارع الرئيسى كى أشاهد عمارة ضخمة عليها لافتة أخرى تحمل اسم (فندق البيت الأبيض).

تساءلت ما الذى حدث لهذه المدينة التى ألهمت الشعراء ببطولاتها الفذة والتى طالما تغنينا بصمود أبنائها عندما كانوا يرفعون لواء الدفاع عن شعب مصر كله، وكنا فى القاهرة نواصل حياتنا الطبيعية نعمل ونلهو ونتزاور، ونقرأ فى الصحف عن أخبار المعارك، وبطولة أهالى السويس، ولقد صادفتنى أثناء مرورى فى شوارع المدينة كثير من المبانى القديمة التى اخترقت أجسادها الصواريخ الإسرائيلية وأحدثت بها فجوات، ليتها تنطق بما حدث تذكرنا وتعيدنا إلى وعينا وتاريخنا القريب، المنازل القديمة التى تحمل آثار العدوان الإسرائيلى تقف شامخة، وبجوارها عشرات المبانى الجديدة، فنادق ومنازل وملاهٍ وشاليهات ومقاهٍ ودكاكين صرافة،

بعضها يضع الدولار فى صورة مكبرة كلافتة وشاهد على العصر الجديد الذى تعيشه المدينة الآن.

كنت أتوقع أن أشاهد دكاكين وبيوتاً وفنادق تحمل أسماء الشهداء أو المعارك التى خاضوها دفاعاً عن قدسية ترابها وإصرارهم على وضعها فى مكان القلب من جسد الوطن. كنت قد وصلت إلى ميناء السويس لاستقبال أمى عند عودتها من العمرة، أمضيت ٨ ساعات حتى يسمح لنا بدخول الميناء.. عالم فسيح تتداخل فيه كل نوعيات البشر والبضائع ولابسى الميرى والمحجبات والسافرات، وتقف المركب (القمر السعودى) ضخمة تثير فى داخلى شتى الانفعالات، الرهبة والخوف بسبب الضخامة، والغربة بسبب الأعداد الهائلة من البشر الذين يجرون الأكياس، والصناديق والحقائب ويأتى الصوت فى الميكروفون عالياً (البضائع أولاً ثم الركاب) ويتردد صدى الصوت فى داخلى (البضائع أولاً وأخيراً ثم يأتى دور البشر فى النهاية إذا كان لهم مكان)، فى صالة الجمرك ينتشر رجال الأمن والجمارك وبجوارهم العشرات من أشباه الرجال يعرضون خدماتهم المشبوهة تتعالى الأصوات وتختلط المساومات والعروض المريبة من جانب بعض المحترفين لهذه المهن العجيبة التى انتشرت فى موانينا المصرية. نحاول أن نتفادى هذا وذاك كى نهرب بجلودنا سالمين. تخترق السيارة طريقها بصعوبة عائدة إلى القاهرة فى الساعات الأولى فى فجر اليوم التالى تتداعى الذكريات.

جريدة الأهالى – ١٥/ ٣/ ٢٠٠٢

10 الحل العبقري

تكدس السكان أمام شقتى، فخرجت أستطلع الأمر، فوجدتهم فى حالة غضب وهياج شديد احتجاجاً على النظام الجديد الذى يقضى بتحميل فاتورة الكهرباء مبلغ ثمانية جنيهات شهرياً نظير جمع القمامة، وتكليف السكان بحملها يومياً إلى «الفناطيس» الموضوعة أمام العمارات، قالوا: كيف يتسنى لكبار السن أن يقوموا بهذا العمل خصوصاً سكان الأدوار العليا برغم أن عمال القمامة كانوا يقومون بجمعها يومياً من أمام الشقق نظير مبلغ ثلاثة جنيهات فقط شهرياً، علاوة على أنه لم يؤخذ رأينا فى النظام الجديد، وأين المجالس المحلية التى يجب أن تدافع عن حقوقنا ومصالحنا؟! تذكرت على الفور الحل العبقرى الذى ابتدعه محافظ قنا اللواء عادل لبيب الذى نجح فى تحويل محافظة قنا إلى قطعة من البهاء والبهجة والنظافة ليس لها نظير فى أنحاء مصر سوى مدينة الإسكندرية.

وقد حدثنى المحافظ عن تجربته فى زيارتى الأخيرة لقنا، فقال: لقد فكرنا – فى البداية – فى الاستعانة بشركة أجنبية، واكتشفنا أن ذلك سوف يكلفنا مليوناً ونصف مليون جنيه ولما كانت ميزانية المحافظة لا تسمح بذلك قررنا الاستعانة بالكفاءات المحلية من المهندسين وخبراء البيئة، وبعد إجراء الدراسات اللازمة وجدنا أنها ستكلفنا ٤٠٠ ألف جنيهاً فقط مع تشغيل العمالة المحلية من حملة المؤهلات المتوسطة، وبدأنا التنفيذ على الفور حيث ثم توزيع الأكياس السوداء التى يتم تصنيعها محلياً على الأهالى نظير جنيهين شهرياً، ويتم يومياً جمع الأكياس فى ساعة

مبكرة من الصباح، ويقوم الشباب بوضعها فى القلابات التى تتولى حملها إلى المواقع المحددة لها خارج المدينة، ثم يتم فرزها وإعادة تدويرها، وهكذا تخلصنا من مشكلتين فى آن واحد: جمع القمامة وتنظيف المدينة، وتشغيل الشباب المتعطل دون الإخلال بميزانية المحافظة. والسؤال لماذا لا يتم تعميم هذه التجربة فى باقى المحافظات خصوصاً محافظتى القاهرة والجيزة؟ وإلى متى سنظل فاقدين الثقة فى الخبرة المحلية ومتعلقين بأوهام الخبرة الأجنبية حتى وإن تعارضت مع ظروفنا الاجتماعية والاقتصادية؟!

الأهرام - الأربعاء ٢٨ مايو ٢٠٠٣

11 خبر عجيب.. وقضية مزمنة!!

يتردد فى الوسط الثقافى خبر عجيب مفاده أن الفنان رسام الكاريكاتير المتميز بعبقريته ومواقفه حجازى قد ترك شقته بالقاهرة وسلم مفاتيحها لصاحب المنزل وعاد إلى موطنه فى مدينة طنطا، ووجه الغرابة فى الموضوع أنه سلم شقته بدون أى شروط مالية أو اجتماعية، وهذا السلوك لم يعد شائعاً فى هذا الزمن الرديء وعندما تأملت هذا الموقف النبيل المترفع عن السلوكيات التى شاعت فى السنوات الأخيرة تذكرت على الفور مأساة آلاف الأسر التى تعتمد فى مصادر رزقها على الإيجارات الضئيلة للمساكن القديمة والتى لم تعد تفى بالحد الأدنى للضروريات الحياتية لتعساء الحظ، وأغلبهم من الأرامل والأيتام وكبار السن الذين لم يعد لهم أى مورد آخر سواء المعاشات أو الإعانات ولا يزالون متعلقين بأمل سرابى فى أن يصدر القانون الجديد للإسكان الذى يحمل لهم بعض الحلول العادلة لأزمتهم الخانقة، هناك مليوناً شقة خالية ومغلقة بمحافظتى القاهرة والجيزة وهناك ٦٥٠ ألف شقة لا يزيد إيجارها القديم على ثلاثة جنيهات و٢٣٠ ألف شقة يتراوح إيجارها بين خمسة جنيهات وسبعة جنيهات، وتشير الأنباء المؤكدة والمنشورة فى الصحف إلى وجود بعض العناصر المستفيدة من الوضع الراهن والتى تحول دون صدور القانون الجديد للإسكان، كما أن هناك إهمالاً قد يكون غير متعمد لاحتياجات وحقوق هذه الأسر المنكوبة والتى سدت أمامها جميع أبواب الرحمة برغم أنهم ملاك للمنازل القديمة ذات الإيجار المنخفض والذين يتعرضون لكافة أشكال الابتزاز والمساومة

من السكان الذين يورثون الشقق لأبنائهم وأحفادهم دون أدنى مراعاة لهؤلاء الملاك ضحايا القرارات الاشتراكية التى صدرت فى عصر كان يسعى لإنصاف ذوى الدخل المحدود بتوفير المساكن بإيجارات معقولة بمقاييس ذلك الزمان، ولكن رياح الخصخصة القاسية، وانتشار التمليك واشتداد أزمة المساكن داست بأقدامها الوحشية على حقوق ملايين الشباب فى إمكانية الحصول على مسكن للإيجار، وكان ضمن هؤلاء [illegible] ملاك المساكن القديمة الذين لا حول لهم ولا قوة.

جريدة الاهرام - ١٦-١١-٢٠٠٣م

12 المناطق المحرمة

كنت عائدة منذ عامين من إحدى سفرياتى بالخارج، واستدعى الأمر أن أقف بسيارتى قريباً من مقر رئيس الجمهورية لكتابة بعض القرارات المهمة التى تمخض عنها المؤتمر العلمى الذى شاركت فيه فى سنغافورة للتنسيق مع زملائى لعقد المؤتمر القادم بمصر ولم يعترض طريقى أحد من الحراس وإنما فقط نظروا لى وتركونى حتى انتهيت من الكتابة ثم انصرفت.. وفوجئت هذا العام بحدثين أثارا انتباهى ولم يمنعانى من إجراء هذه المقارنة فقد اضطرتنى الظروف أن أقف على كورنيش النيل أمام السور الخلفى للسفارة الأمريكية لتسجيل بعض الأمور المهمة خشية أن تضيع من ذاكرتى فى زحمة الاهتمامات والمشاغل اليومية فإذا بى أفاجأ بحشد من الحراس الذين يلبسون ملابس مدنية يحاصرونني والشرر ينطلق من عيونهم وهم يحذرونني ويطالبونني بضرورة الابتعاد فوراً لأننى أقف فى منطقة محظور الوقوف فيها، والحدث الثانى وقع فى الأسبوع نفسه عندما حاولت أن أركن سيارتى أمام نادى تجديف الشرطة المجاور لنادى تجديف جامعة القاهرة الذى كنت أتوجه إليه حيث جاءنى أحد المخبرين وأشار لى باستعلاء لا يخلو من الشراسة، وأمرنى بالابتعاد فوراً لأنها منطقة مخصصة للشرطة فقط إننى أتساءل هل صدرت قوانين لم تنشر فى جريدة الوقائع المصرية تفيد حرمان المواطن المصرى المسالم مثلى من الاستمتاع بحق المواطنة فى استخدام الأماكن العامة للتوقف برهة من الوقت إذا اضطرته الظروف؟ وهل تمت خصخصة أراضى الشرطة لصالح بعض الجهات الأجنبية أو المحلية دون أن ندرى؟

بريد الأهرام – ٩ مايو ٢٠٠٤م

13 قضاة الأمس واليوم

حكاية سردها لى أحد المحامين المخضرمين فى قرية درنكة قال فى بداية الستينيات وفى إحدى ليالى الشتاء الباردة وبعد أن انتصف الليل دق أحد القضاة باب الحجرة المجاورة له فى استراحة القضاة بإحدى مدن الوجه القبلى وكان يقيم بها أحد المحامين الذين ترافعوا فى إحدى القضايا وكسبها ولما صدر الحكم لصالح موكلته التى استعانت به لطرد سيدة كانت تستأجر إحدى الشقق بعمارتها وتعثرت فى دفع الإيجار لمدة أربعة أشهر وكان الإيجار حينذاك لا يزيد عن ثلاثة جنيهات شهرياً رحب المحامى بالقاضى الزائر على غير موعد وسأله مستفسراً عن سر هذه الزيارة الليلية بادره القاضى بالتهنئة لفوزه بالحكم لصالح موكلته ولكنه أعرب له عن أسفه الشديد لأنه أصدر هذا الحكم المنصف بحكم النصوص القانونية ولكنه يفتقر إلى روح القانون لأنه أغفل وضع السيدة المتعثرة فى دفع الإيجار وكيف سيكون مصيرها بعد صدور الحكم بطردها واقترح عليه أن يبذلا جهدهما للاتصال بموكلته وإقناعها بضرورة التصالح مع السيدة المتعثرة بعد أن يدفع لها القاضى قيمة الإيجار المتأخر ووافق المحامى على هذا الاقتراح ولم ينم القاضى إذ ظل ساهرا يعتصر رأسه من القلق وعندما هل الصباح ذهب الاثنان إلى السيدة التى اندهشت لقدوم محاميها فى هذا الوقت المبكر وكان قد أخبرها تليفونياً بفوزها بالحكم لصالحها فظنت أنه جاء للحصول على باقى الأتعاب ولكنه أخبرها بوجود القاضى الذى جاء معه لإقناعها بضرورة الصلح مع جارتها وأخرج من جيبه قيمة الإيجار المتأخر زجرت

السيدة ورفضت وأصرت على إخلاء المرأة للشقة هرول القاضى إلى بعض السماسرة فى المدينة بحثاً عن شقة ملائمة للسيدة المطرودة أخبروه عن وجود بيت قديم ريفى معروض للبيع بثمانين جنيها عاد للتشاور مع المرأة التى أخبرته عن عجزها المطلق عن دفع هذا المبلغ الباهظ وكانت المفاجأة التى هزت كيان المرأة عندما أكد القاضى أنه قد دفع لها المبلغ وما عليها إلا استلام المنزل، الوجه الآخر لهذه الحكاية ما حدث فى نهاية التسعينيات عندما فوجئ أحد الشهود بصدور الحكم بالحبس ثلاث سنوات وعندما احتج المحامى وحاول أن يلفت نظر القاضى إلى هذا الخطأ الفادح أنسار له بازدراء ولا مبالاة وجمع أوراقه وذهب وقاتل الشاهد المسكين ثمانية أشهر كاملة لتصحيح هذا الحكم الجائر هذا هو الفرق بين قضاه الستينيات وقضاة التسعينيات مع التأكيد على وجود الاستثناءات فى كلا العنصرين.

صوت الجامعة – ٨ مارس ٢٠٠٥

14 الوزير - السائق سابقًا

نشأ فى أسرة عمالية كان والده سائقاً ورث الحرفة عن والده وكان يتميز بالذكاء واستلهم من والده خبرته النقابية حيث تعلم منه فنون وأساليب الدفاع عن سائقى الشاحنات وسيارات الأجرة واستكمل مهاراته من والد زوجته الذى كان قيادة نقابية لامعة.

التقطته إحدى التنظيمات اليسارية وتدرج فى المواقع الحزبية حتى أصبح رئيساً لأحد الأحزاب السياسية التى خاضت عدة معارك انتخابية أوصلته إلى البرلمان ثم تولى إحدى الوزارات السيادية عندما فاز حزبه فى انتخابات الرئاسة فى ظل نظام يؤمن بتداول السلطة.

أما زوجته ابنة السائق القيادى القديم فقد كانت تزامله فى جميع المعارك التى خاضها حيث عكف على تطوير ثقافتها كما حرص على تربية وتعليم أبنائه الأربعة بنفس الروح والمبادئ الفكرية التى نشأ عليها وتخرج منهم اثنان انخرطوا فى العمل الحزبى ولمعوا فى مجالى المحاماة والتعليم، أما الاثنان الآخران فقد فضلوا الاكتفاء بوظائفهم فى مجالى الطب والبنوك ولكنهم ظلوا أوفياء لذات التوجه الفكرى والثقافة المرتبطة بحقوق الوطن وفقرائه.

ودارت الأيام ثم كلف رسمياً بزيارة إحدى الدول الكبرى التى كانت تتزعم مجموعة دولية تتبنى ذات التوجه الأيديولوجى الذى يؤمن بالعدالة الاجتماعية

وتطبق قوانينها وتنتهج سياسة خارجية تناهض توجهات الدول التى دأبت على اغتصاب أوطان الآخرين وتعلن فى المنابر الدولية تأييدها ودعمها لحقوق الشعوب التى تجاهد من أجل انتزاع سيادتها على مواردها وتعزيز مصائر أوطانها.

استقبل الوزير «السائق سابقاً» بحفاوة بالغة من قيادات الدولة الكبرى كما أقام له زعماء النقابات والتنظيمات الشعبية احتفالات جلجل فيها بصوته الجهورى وسجلت خلالها قدراته الخطابية، وشهدتها حشود جماهيرية من النساء والرجال فى العديد من الجامعات والمصانع والمزارع التى زارها، كذلك قامت زوجته والوفد النسائى المرافق لها بزيارة المتاحف والمدارس والنوادى الرياضية والقصور القديمة والمسارح وحضانات الأطفال حيث شهدت بعض العروض العالمية وأجرت حوارات عديدة مع زعيمات الجمعيات النسائية وصالت وجالت فى الأسواق واشترت العديد من التحف الفنية عدا الفراء والجواهر النادرة وفى إحدى زيارات الوزير «السائق سابقاً» لإحدى المزارع الجماعية حيث أقيمت مأدبة فاخرة له وللوفد المرافق حكى له وزير الزراعة فى الدولة المضيفة قصة تمرده على أسرته الأرستقراطية وانضمامه إلى التنظيمات اليسارية منذ أن كان طالباً يدرس الطب ثم صعوده الحزبى حتى أصبح مسئولاً عن المزارع الجماعية حينئذ نظر إليه الضيف نظرة جانبية تشع بمزيج من التأمل والدهاء ولاح على شفتيه شبح ابتسامة خفيفة وقال له «حقاً لقد خان كل منا طبقته فأصبحت أنت ابن الأرستقراطية مسئولاً عن مزارع الفقراء وأصبحت أنا السائق سابقاً وزيراً».

صوت الجامعة - ٥/ ٤/ ٢٠٠٥

15 المبادئ والحسابات !

دفعتنى ظروفى الصحية فى الفترة الأخيرة إلى اللجوء إلى العديد من كبار الأطباء لإجراء بعض الفحوص والجراحات المهمة فى العيون والاستعداد لجراحات أخرى فى غير العيون، وأدهشنى بل أزعجنى أن معظمهم يرفضون إجراء عملياتهم بالمستشفى الذى أنتمى إليه، وجاهدت مع زملائى أساتذة جامعة القاهرة طويلاً من أجل إنشائه وتخصيص قطاع مهم منه لمعالجة أعضاء هيئة التدريس، وقد أثبت هذا المستشفى وجوده وكفاءته وسد نقصاً ملحوظاً ليس بالنسبة للأساتذة فقط ولكن أيضاً للعديد من المواطنين من جميع الفئات الاجتماعية، هؤلاء الذين يتوقون إلى علاج عصرى يشرف عليه نخبة من أطباء وأساتذة القصر العينى من كلية الطب – جامعة القاهرة –، ولا شك فى أن مشروعاً ضخماً مثل هذا المستشفى لابد من أن تواجهه بعض الصعوبات ولا يخلو من السلبيات أو المعوقات الإدارية والفنية.

وقد استبدت بى الحيرة فى أمر هؤلاء الأطباء الرافضين إجراء عملياتهم بالمستشفى الكبير الناشئ ولذلك أجريت حوارات واستقصاءات متعددة مع العديد من الأطباء والإداريين داخل هذا المستشفى وخارجه، وتوصلت إلى بعض الاحتمالات، أولها أن المستشفى يعانى بعض أوجه القصور التى تتعلق بالإجراءات الإدارية أو الإمكانيات الفنية والطبية، أو هبوط مستوى الرعاية من حيث التمريض والمتابعة وكفاءة الأجهزة الطبية، وهذا سيتطلب من القيادات الطبية بذل المزيد من الجهد والإصرار لمعالجتها وتخفيف القيود البيروقراطية التى تحول دون

تجديد الأجهزة الطبية، فى الوقت المناسب ومراعاة التدريب المستمر لصغار الأطباء ولفريق التمريض، ولا يكون الحل هو مقاطعة المستشفى والتقليل من الدور والخدمات الجليلة التى يقدمها لمرضاه.

أما الاحتمال الثانى وهو الأخطر، فيتعلق بالشغف الجنونى من جانب العديد من الأطباء الكبار لتحقيق أكبر قدر من المكاسب من خلال المستشفيات الخاصة، خصوصاً أن أجور هؤلاء الأطباء سواء فى العيادات أو العمليات الجراحية بلغت مستوى من الارتفاع الجنونى لا يتناسب مع دخول الغالبية العظمى من أبناء الطبقة الوسطى، فما بالك بالطبقات الأخرى من الكادحين خصوصاً موظفى الدولة الشرفاء، حتى منصب وكيل وزارة، الذين ليس لهم دخول سوى مرتباتهم، والويل لهم إذا أصيبوا بمرض يتطلب إجراء عملية جراحية.

وهذا الاحتمال أصبح يقيناً فى ضوء تأكيدات معظم الذين ناقشت معهم هذه القضية، فما هو الحل، وهل تستطيع نقابة الأطباء أن تتدخل لوضع حد لمغالاة أجور الأطباء الكبار فى مهنة جليلة نتوقع أن تسمو فيها المبادئ الإنسانية، وتتراجع الحسابات النفعية المغالى فيها؟ أم أن رياح العولمة وقيم السوق قد اكتسحت فى طريقها منظومة القيم التى تربينا عليها ومازلنا نتطلع إلى استعادتها؟!

جريدة الأهرام – ٢١/ ١٢/ ٢٠٠٥م

16 المشهد على الجانبين

جمعتنى الظروف بمجموعات متنوعة من الأطباء الذين ينتمون إلى أجيال وتخصصات مختلفة ويمارسون المهنة فى مختلف ربوع مصر من الصعيد إلى الوجه البحرى إلى العاصمة بأحيائها المرفهة ومناطقها الشعبية ودارت الحوارات حول شكاوى الأهالى من المغالاة فى أجور الأطباء، فضلاً عن ارتفاع أسعار الأدوية بصورة غير مسبوقة والتى تفوق دخول العاملين فى الدولة ناهيك عن أصحاب المعاشات مع استبعاد الفقراء والمهمشين من قائمة الحاصلين على الحد الأدنى من الرعاية الصحية.

وفى ثنايا هذه الحوارات أثيرت قضايا كثيرة تناولت أخطاء بعض الأطباء وغياب نظام للتقاضى لمحاسبتهم على أخطائهم وإصرارهم على اقتناص أجورهم المرتفعة برغم إدراكهم عدم جدوى الكثير من العمليات الجراحية والصور المشينة للإهمال فى المستشفيات العامة وتحول المستشفيات الخاصة إلى بورصات للمزايدة على صحة المرضى والقصور الفاضح فى الخدمات التى تقدمها هذه المستشفيات.. وازدادت سخونة المناقشات فى بعض هذه الجلسات وتعالت الأصوات بعضها يندد بقصور الدور الرقابى لنقابة الأطباء ويتساءل البعض الآخر عن الأسباب الحقيقية التى تشل حركة النقابة إلى الحد الذى يجعلها عاجزة تماماً عن إلزام الأطباء المصريين بقوانينها وبمواثيق الشرف الطبية المعمول بها فى مختلف أنحاء العالم حتى بات الأمر وكان هناك عرفاً غير مكتوب بين الأطباء وشركات الأدوية ومعامل التحاليل والأشعات لاستنزاف آخر قطرة من المرضى دون منحهم العلاج الحقيقى

الذى يحقق لهم الشفاء الجزئى وليس الكلى.

وتحدث الأطباء عن همومهم قالوا إن هناك اعتقاداً خاطئاً لدى المرضى بأن الأطباء الذين يحصلون على أجور أعلى هم الأكفأ طبياً، فى حين أن التجارب قد أثبتت عكس ذلك تماماً وأن هناك مجموعة من الأسماء تسيطر على السوق الطبية فى مصر ولا يزيد عددهم على ألف طبيب من مجموع ٢٥٠ ألف طبيب فى نقابة الأطباء، وأن هؤلاء الأطباء الذين يحتكرون المشهد العلاجى بأجورهم المرتفعة وشهرتهم التليفزيونية والإعلامية يحجبون فى الواقع المشاكل والهموم الحقيقية التى يعانى منها آلاف الأطباء الكادحين الذين لا تنقصهم الكفاءة ولا الأخلاقيات ولكنهم يفتقرون إلى الفرصة والشهرة ويعانون من سوء فهم الرأى العام علاوة على عدم مساندة النقابة لهم بسبب الحظر المفروض على نشاطها والذى يرجع إلى أسباب سياسية وليس له علاقة بمهنة الطب ويعتبرون أنفسهم ضحايا أكثر من المرضى أنفسهم لأنهم لا يجدون من يصغى لشكواهم وهم يدفعون ثمن الفساد العام الذى أسدل ستائره على سماء الوطن وشمل كل المواقع العلمية والمهنية ولم يعد أمامهم سبيل سوى السعى للخلاص الفردى.

تأملت المشهد على الجانبين المرضى ضحايا، وجموع الأطباء غير المشهورين ضحايا أيضاً ونقابة الأطباء مقيدة ووزارة الصحة مثقلة بأعبائها وروتينها وبيروقراطيات المتحكمين فى مصائرها.

إذن ما العمل؟ وكيف يتسنى لنا نحن المواطنين البسطاء أن نحصل على حقوقنا فى علاج طبى أمن ودواء بأسعار فى تناول دخولنا ورعاية صحية حقيقية للفقراء وكيف تستعيد هذه المهنة النبيلة ضمير روادها الأجلاء وكيف ومتى نحمى صحة أهالى المحروسة من سماسرة الدواء والطب؟

جريدة الأهرام – ١٩/ ٧/ ٢٠٠٥م

17 عولمة البشر

تتوالى منذ منتصف التسعينيات المظاهرات الغاضبة من آلاف الفلاحين والعمال والطلبة ضد منظمة التجارة العالمية وضد السياسات الإرهابية للحكومة الأمريكية والتى يروع بها بوش شعوب العالم بدعوى محاربة الإرهاب، والمحطة الحالية لهذه المظاهرات هونج كونج حيث تعقد منظمة التجارة العالمية مؤتمرها الوزارى السادس.. ورغم قيام أكثر من عشرة آلاف من الجنود بحراسة المؤتمر ووفوده وقمع المعارضين خاصة القادمين من كوريا الجنوبية، إلا أن المخاوف تتزايد من تكرار حادث انتحار الفلاح الكورى «لى كيونج هاى» الذى قتل نفسه احتجاجاً على سياسات منظمة التجارة العالمية أثناء اجتماعاتها السابقة التى عقدت فى كانكون بالمكسيك عام ٢٠٠٣ مما أدى إلى تأجيج المعارضة وفشل الاجتماعات.. ولا يعد هذا الفلاح الكورى الضحية الوحيدة لسياسات منظمة التجارة العالمية، فهناك ثمانية مليون من الفقراء يموتون جوعاً كل عام منهم صغار فلاحين وعمال زراعيين ينتجون الغذاء لصالح الشركات الاحتكارية الكبرى.. وإذا كانت الشعوب ترفع شعار «قلب قطار منظمة التجارة العالمية» فإن السبب وراء ذلك يرجع إلى أن الملايين الحاشدة من البشر فى مختلف القارات بدأوا يشعرون بالآثار الكارثية للعولمة على حياتهم اليومية، حتى ولو لم يكن لديهم وعى كامل عن العلاقة التى تربط بين أوضاعهم البائسة والنظام الاقتصادى العولمى، وفى الحقيقة أن الصلة بين السبب والنتيجة ليست واضحة فى أذهان الكثيرين، حتى فى صفوف المتعلمين والمثقفين

لأنها تتطلب قدرة على التحليل والتأمل لا تسمح بها ظروف الغالبية من هؤلاء الذين يلهثون خلف الرزق أو أحلام الثراء والجاه.. ولكن يمكن التأكيد على أن التوسع فى أشكال وحركات الاحتجاج والمقاومة التى بدأت عام ١٩٩٤ بانتفاضة فلاحى الزاباتيستا ضد سياسات الحكومة المكسيكية التى وقعت اتفاق النافتا مع الولايات المتحدة الأمريكية والتى تحولت إلى حركة منظمة وناجحة لمقاومة العولمة، كما شهد عام ١٩٩٥ انفجاراً عنيفاً لمظاهرات الطلبة فى فرنسا احتجاجاً على ارتفاع تكاليف التعليم، وفى أندونيسيا انهار حكم سوهارتو تحت وطأة الاحتجاجات الشعبية ضد الفساد والفقر، كما أن الأزمات الاقتصادية الحادة التى أصابت اقتصاديات دول جنوب شرق آسيا فى النصف الثانى من التسعينيات قد كشفت حقيقة الوهم الذى يروجه صندوق النقد الدولى الذى يزعم أن سياساته هى دواء فعال لا بديل له على مرارته لحل مشكلات الدول النامية وشفائها من جميع الأمراض، ثم جاءت أزمة «النمور الآسيوية» والتى تمثلت فى انهيار العملة وزيادة البطالة كى تثبت مدى الزيف والتضليل الذى يمارسه الدعاة لسياسات الصندوق من السياسيين ورجال الأعمال والإعلاميين.

وعلى خلفية هذا المشهد المتأزم بين ضغوط الثلاثى العولمى «الصندوق والبنك الدولى ومنظمة التجارة العالمية» ومعاناة فئات بشرية واسعة من السياسات الجائرة، لتى تطبقها الحكومات الخاضعة لتعليمات هذا الثلاثى المهمين كان اندلاع حركة مناهضة العولمة الرأسمالية يمثل ضرورة بقاء للملايين فى شمال العالم وجنوبه لمواجهة الفقر والمهانة والمرض والبطالة، فالأغنياء يزدادون غنى، والفقراء يزدادون فقراً بشكل غير مسبوق فى التاريخ.

وقد منحت مدينة سياتل الأمريكية فى عام ١٩٩٩ شهادة الميلاد الرسمى لحركة

مناهضة العولمة، حيث اجتمع الآلاف من البشر من اتجاهات سياسية متعددة «اشتراكيين وفوضويين وشيوعين وعمال نقابيين وجمعيات مسيحية ومدافعين عن البيئة وعن حقوق المرأة ومن مناهضى العنصرية» للاحتجاج على اجتماع منظمة التجارة العالمية المنعقد هناك، وقد فشلت جميع اجتماعات المنظمة بسبب المظاهرات التى اندلعت فى جنوه وفلورنسا وبورتو الليجيرى، والمرة الوحيدة منذ سياتل التى حققت فيها منظمة التجارة العالمية نجاحاً فى المفاوضات كانت فى الدوحة عام ٢٠٠١ عندما منعت المظاهرات وسافرت الوفود الرسمية دون التوصل لاتفاق، ولكنهم عقدوا اجتماعاً استثنائياً لمن لم يسافر وأصدروا ما يعرف بإعلان الدوحة الذى وعدنا «بالتنمية والقضاء على الفقر فى العالم» ولم يسفر إلا عن زيادة الصادرات الزراعية الأمريكية إلى ٥٥٠ مليار دولار.

إن الاتفاقيات التى تطرحها حالياً منظمة التجارة تتعلق بخصخصة حق إنسانى حيوى لحياة البشر، وأعنى بها المياة التى سوف يترتب على خصخصتها ازدياد عدد المحرومين من الماء النظيف عندما تتحول المياه إلى سلعة تخضع لقوانين السوق، ومثلها الكهرباء والصرف الصحى والتعليم والصحة، ولم يبق سوى أجساد البشر التى تحولت بالفعل إلى سلعة رخيصة فى أسواق النخاسة العالمية والمحلية ولله الأمر من قبل ومن بعد؟!

صوت الجامعة - ١٩ ديسمبر ٢٠٠٥

18 هل الشباب محظوظون في بلادنا

فى إحدى اللقاءات الحرة التى أجريتها مع طلاب جامعة نيومكسيكو على هامش جلسات المؤتمر الدولى للإعلام الذى عقد عام ١٩٩٧ بالمكسيك تحلق حولى جمع من الطلبة والطالبات كنت متلهفة على التعرف على اتجاهات هؤلاء الشباب ومشكلاتهم وهمومهم وطموحاتهم وهل هناك منظومة قيم اجتماعية وأخلاقية تحكم سلوكياتهم أم أن هناك اختراقاً عولمى أمريكى تسلل إلى حياتهم خصوصاً وأنهم ملتصقون جغرافياً بالمجتمع الأمريكى، وهناك آلاف الشباب المكسيكى يتسللون إلى المجتمع الأمريكى عبر الحدود الهشة التى تفصلهم عن أمريكا.. تحدث شاب يدرس الطب قال إننا خليط من الأعراق ينتمى البعض منا إلى أصول هندية قديمة وينتمى البعض الآخر إلى الأسبان الذين غزوا مجتمعنا منذ خمسة قرون عدا العديد الذين ينتمون إلى أصول أوروبية ألمانية وفرنسية وبرتغالية وأقلية من أبناء الأقليات العربية الذين هاجروا إلينا من سوريا ولبنان منذ قرن ونصف، وقد انعكس هذا الخليط على منظومة القيم التى تتحكم فى علاقاتنا الأسرية والاجتماعية وتأثرت بها أخلاقياتنا ومعتقداتنا وأفكارنا، ولكن الطابع الغالب على مجتمعنا حالياً ينتمى فى مجمله إلى الثقافة الغربية الاستهلاكية ونحلم بالثراء والشهرة وأوهام الرفاهية الأمريكية خصوصاً وأن مجتمعنا يعانى من اتساع الفجوة بين الحكام والمحكومين وبين الأثرياء والفقراء لدينا ملياردريرات يعانون من التخمة وملايين الفقراء يعانون على الجانب الآخر من الفقر المدقع ويتحايلون على الظروف الشاقة

التى تحاصرهم بجميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة، سكت الشاب وألقى نظرة بانورامية على زملائه ثم استطرد قائلاً: أما نحن الشباب هناك تلال من المشاكل أقلها البطالة المنتشرة بين صفوفنا والتى تحيل أحلامنا فى لحظة إلى هشيم فى ظل الحرية التى تصل إلى حد الفوضى وتتحول إلى نوع من الانفلات بسبب غياب الرعاية الأسرية وانشغال جميع مؤسسات المجتمع بالجرى خلف الثروة والجاه والشهرة وهناك تيارات ثورية تحاول أن تحتوينا ءلا نملك حالياً سوى حق الصراخ فى المظاهرات اليومية من أجل الخبز والبحث عن دور حقيقى نسعى من خلاله للمشاركة فى تحديد مصيرنا ومصير مئات آلاف من المقهورين فى مجتمعنا، هتفت فى سرى «يا إلهى كم تتشابه مشاكلهم مع مشاكل شبابنا رغم الحرية المتزايدة التى ينعمون بها» ثم تطلعت إلى فتاة اخترقت الصفوف ووقفت أمامى فى تحدى بالغ بملابسها البسيطة وحيويتها الفائقة وجمالها الآخاذ صاحت قائلة «إن المشكلة الأساسية التى نعانى منها أن أهالينا يتركوننا ننفصل عنهم فى سن صغير لا تزيد عن ١٦ عاماً نفرح فى البداية بهذه الحرية ثم لا نعرف ماذا نفعل بها ننطلق فى جنون إلى جنة العلاقات الجنسية وعندما نفيق نكتشف أننا نحصد الوهم وخيبة الأمل وعندما نعود إلى أهالينا يديرون لنا ظهورهم ويرفضون عودتنا إلى أحضانهم لأنهم منشغلون بهمومهم وأنانيتهم.

لقد ارتبطت بأحد زملائى وأنجبت طفلة أنكرها وهرب منى واضطررت إلى وضعها فى أحد صناديق القمامة تخلصاً من مسئوليتها وأنكرنى أهلى وأنا الآن أعانى الوحدة والضياع، هذا هو ثمن الحرية التى تحسدوننا عليها.. توقفت الفتاة قليلاً كى تلتقط أنفاسها ثم سألتنى قائلة حدثينا عن مشكلات الشباب فى بلادك انتبهت إلى السؤال الذى أخرجنى من حالة سرحان سرقتنى من الجلسة وقلت لها المشكلة

الأساسية التى تواجه الشباب فى مصر غير البطالة قيود الأهالى ومنظومة القيم التى تحاصرهم باسم الخوف عليهم من الوقوع فى الخطأ وحرمانهم من المشاركة فى العمل السياسى أو ممارسة الحب برقت عيون الشباب ثم هتفوا فى نفس واحد أن الشباب فى بلادك محظوظون برعاية أهاليهم ليتنا نحصل على ذرة من الرعاية الأسرية التى ينعمون بها تعجبت ولم أعلق، وها أنا ذا أقوم بتوصيل الرسالة إلى شبابنا لعلهم يستوعبون فحواها.

الأهالي – نوفمبر –١٩٩٨

obeikan.com

19 اعترافات ضابط شرطة

جلس يتحدث بهدوء، بدأ يسرد قصة التحاقه بكلية الشرطة والأحداث المثيرة التى عايشها منذ تخرجه قال «لم أكن أنوى الالتحاق بكلية الشرطة لأننى كنت أحلم بدراسة الموسيقى فى الكونسرفتوار ولكن أمى التى تولت رعايتى بعد رحيل والدى أصرت على استعادة أمجاد والدها مأمور بندر قويسنا الأسبق من خلال شخصى، ولما كنت حريصاً على إرضائها قررت أن أجعل الموسيقى هواية عمرى وأن تكون الشرطة هى مهنتى ومصدر رزقى تفوقت فى دراستى وبعد تخرجى وقع على الاختيار للعمل فى حراسة إحدى الوزارات السيادية ثم تزوجت من إحدى قريباتى التى اختارتها أمى لى لإنقاذى من قصة حب طويلة ربطتنى بجارتى التى عشت معها أنشودة حياتى وكانت المرفأ الروحى الوحيد لى، اختزنت أحزانى وأفنيت نفسى فى عملى جاءت تقارير رؤسائى عنى ممتازة لذلك قرروا نقلى إلى إحدى الوحدات الأمنية رفيعة المستوى بعد عدة اختبارات اجتزتها بامتياز وكان المأخذ الوحيد كثرة ترددى على الحفلات الموسيقية العربية والأجنبية، واصلت عملى بكفاءة وصدق وإخلاص وانهالت علىّ المكافآت فى صورة سفريات للخارج ومنح مالية كبيرة واشتريت فيلا صغيرة فى المقطم وخصصت الدور العلوى لأمى وسكنت فى الدور الأول كى أمارس هوايتى باطمئنان فى الحديقة التى زرعتها بجميع أنواع النباتات والورود المبهجة، وكنت أحياناً أدعو أصدقائى الذين تجمعنى بهم نفس الهواية حيث كنا نمضى أوقاتنا فى العزف والاستماع لروائع الموسيقى

التراثية والحديثة وفى يوم ما وقعت فى يدى قضية تخص أحد المسئولين الكبار وكانت كل الأدلة تؤكد تورطه فى العديد من المخالفات الجسيمة التى تمس أمن الوطن، كتبت تقريرى بكل الدقة والأمانة وبضمير مستريح وإذ بى أفاجأ بحصار غير متوقع من رؤسائى وزملائى يطالبوننى بتغيير التقرير استجابة لأوامر عليا ظللت مؤرقاً عدة ليالى لم أستطع أن أفاتح أحداً من أصدقائى أو أسرتى استخرت الله وقررت أن أصر على موقفى وذهبت فى اليوم التالى إلى مكتب رئيسى فور استدعائى على عجل أخبرته بموقفى ابتسم فى سخرية وقال لى هذا الموقف ثمنه غالى يا فلان وهذا إنذارى الأخير لك هززت رأسى فى ثقة وهدوء وأكدت له تمسكى بما كتبته فى تقريرى، انتهى اللقاء وعدت إلى منزلى وفى المساء دعوت أصدقائى لجلسة موسيقية حالمة وأمضينا ليلة قمرية فاقت فى روعتها وشفافيتها كل لحظات العمر السابقة، وفى الصباح الباكر تلقيت على يد عسكرى شرطة ضخم الجثة مرسوماً بنقلى إلى وحدة الشرطة لحماية المسطحات المائية فى أحد فروع النيل العظيم.

سكت الضابط الفنان وأخذ يتأمل وجهى متوقعاً رد الفعل لم أعلق فى البداية ثم قلت له «يكفى أنك أرضيت ضميرك وهذا أثمن ما يبقى للإنسان».

صوت الجامعة – أول مايو ٢٠٠٦

20 المناصب وغياب المعايير

هناك آفة خطيرة تجتاح المجتمع المصرى فى جميع المواقع، والمؤسسات، دون استثناء، وهى التكالب على المناصب الرئاسية مهما صغر موقعها، وهذه الآفة تتميز بخلفية تاريخية برزت بوضوح من عصر محمد على، واستمرت عبر المراحل المختلفة وأصبحت سمة مصاحبة للهياكل الإدارية فى الوزارات والمؤسسات الإنتاجية والأكاديمية، وأفرزت كثيراً من التداعيات السلبية التى طالت منظومة القيم والسلوكيات والعلاقات الاجتماعية، وأوجدت معايير جديدة زاحمت القيم الإيجابية وأصبحت تشغل مكان الصدارة، فأصبح الموقع الرئاسى أهم من الكفاءة والأمانة والنزاهة.

ولم تفلت من هذه الآفة المواقع الحزبية والأكاديمية والمنظمات الأهلية التى تعتمد على العمل التطوعى.

ولعل أبرز ما يضاعف خطورة هذه الآفة هو أن التعيين فى المواقع الرئاسية أصبح يتم بلا معايير موضوعية، بل سادت معايير أخرى هدامة تتمثل فى الواسطة والشللية والمصالح الشخصية، وهى معايير تمثل مراحل بدائية فى تاريخ تطور المجتمعات، وقد تجاوزتها البشرية منذ العصر الزراعى بعد أن أصبحت الكفاءة الفردية هى المعيار الأساسى الذى قامت ونهضت بفضله المجتمعات الصناعية، وفى عصر المعلومات الذى يعتمد على الإنتاج الذهنى وتصاعدت فيه قيمة المعرفة الإنسانية، أصبح من المخزى والمشين أن ترتد بعض المجتمعات ومؤسساتها إلى هذا

الدرك، فتتوارى القيم الإنسانية المحورية، مثل الكفاءة والنزاهة لكى تحل محلها الفهلوة والنفاق والرشوة، وسائر منظومة الفساد التى أصبحت غولاً يهدد الكفاح اليومى لملايين الكادحين من الشرفاء وأصحاب الضمائر فى مختلف المواقع بدءاً بالأطباء والمعلمين والمحامين والموظفين العموميين، ورجال البنوك، والأجهزة الأمنية، وصولاً إلى أساتذة الجامعات.

أننى أؤمن بأن الحلقة الرئيسية للتغيير فى مصر تبدأ باجتثاث جذور الفساد، والتسيب الذى لم يبق على الأخضر واليابس، وأصاب ملايين الشباب بالإحباط، واللامبالاة، وفقدان الانتماء للوطن.

ويجب أن نبدأ بحملة قومية جادة تعيد للأجهزة الرقابية هيبتها وفاعليتها، وتسعى بإخلاص إلى إشراك من ينتمون إلى هذا الوطن بجميع شرائحه الاجتماعية، ومواقعه المهنية، والتشريعية، والأكاديمية فى صنع القرار الوطنى العام، وسائر القرارات التى تمس مفردات الحياة اليومية لهؤلاء البشر.

21 ضحايا العبارة الغارقة

صرخت الفتاة القروية التى تعمل مساعدة منزلية لدى أحد الأكابر عندما سمعت نبأ غرق العبارة «السلام ٩٨» فى البحر الأحمر وكانت تتابع بفرحة طفولية المباريات الكروية الساخنة وتتوجه بين حين وآخر إلى السماء تدعو من قلبها كى تفوز مصر ببطولة الأمم الأفريقية الخامسة والعشرين، لقد كانت العبارة المشئومة تحمل شقيقيها الشابين اليتيمين اللذين ذاقوا مع آلاف الشباب من أبناء الصعيد اليتم والفقر ومذلة البحث عن عمل شريف يصون كرامة الأسرة الكبيرة التى يعولوها بعد وفاة والدهم الذى كان يعمل فى أحد المحاجر الجبلية بمحافظة قنا، لطمت خدودها وتضرعت إلى مخدومها كى يسمح لها بالسفر فوراً لمتابعة هذه النكبة وحاول الرجل أن يهدئ من روعها ويطمئنها زاعماً تارة بأن الخبر ربما يكون غير صحيح وتارة أخرى يؤكد لها أن العبارة مستوفية لكل شروط الأمان لأنه يعرف صاحبها جيداً حيث تزاملاً منذ زمن بعيد فى الكثير من المشروعات التجارية البحرية والبرية كما أن صاحب العبارة يحظى بثقة الدولة ولذلك منحته شرف عضوية بمجلس الشورى، واصلت الفتاة الندب والنحيب وأصرت على الرحيل وارتبك الرجل الذى كان مرتبطاً بموعد للذهاب إلى الاستاد مع بناته وأبنائه لمشاهدة المباراة النهائية بين مصر وكوت ديفوار وكانوا يمرحون مع أصدقائهم فى إحدى حجرات الفيلا حيث كانوا يعدون أنفسهم لهذه اللحظة التاريخية برسم وجوههم بألوان العلم المصرى ويتبادلون القبعات والطراطير الملونة ويتقافزون فى

بهجة هستيرية وقد اختلطت أصواتهم وضحكاتهم مع صرخات الفتاة المكلومة، اضطر الرجل أخيراً تحت وطأة الإلحاح الموجع من جانب الفتاة إلى استدعاء أحد حراس الأمن بالفيلا وتكليفه بالسفر مع الفتاة إلى سفاجا.. وعلى أرصفة الميناء الحزين رأت الفتاة البائسة ما لم تكن تتوقعه طوال مسيرة الشقاء التى كابدتها منذ خروجها من قريتها البعيدة حيث تلقفتها أيدى السماسرة ودارت بها على بيوت السادة أثرياء الانفتاح والخصخصة، ولاقت الأمرين من أجل صيانة كرامتها والحفاظ على أعز ما تملك الفتاة الصعيدية.. لقد شاهدت الجموع الغاضبة تحاصرهم دروع الأمن المركزى يستجدون فى لهفة أخبار الضحايا من الأحباب الذين أجبرتهم قسوة الظروف وإهمال الحكومات وشراسة ولاة الأمر على ترك ديارهم وعيالهم والذهاب إلى الضفة الأخرى من البحر الأحمر، حيث الوعد والأمل فى أن يحصلوا على بعض الفتات المتبقى من موائد أباطرة النفط كان البرد قارصاً ولكن قسوة الإهمال والاستهانة بهم وبإنسانيتهم كانت أشد وطأة، التقت الفتاة ببعض أقاربها الذين هرولوا بحثاً عن جثث أشقائها دون جدوى ظلوا يتنقلون بين الرؤوس المفصولة عن أجسادها وبقايا الأذرع والأقدام صرخت الفتاة بأعلى صوتها وقد شقت ملابسها وتطلعت إلى السماء فى أنين موجع تخاطب إله الرحمة «لماذا يا ربى تعاقبنا ونحن لم نسرق أو نؤذى أحداً لماذا يا ربى ترسل علينا لعناتك ونحن أشرف البشر لماذا تترك الفاسدين واللصوص يسرقون وينهبون ويقتلون أحبائنا.. متى تنتقم لنا من هؤلاء الجبابرة المغتربين، ظلت تصرخ وتنتحب ثم سقطت مغشياً عليها.

صوت الجامعة – ٢٠ فبراير ٢٠٠٦

22 || خواطر وذكريات على إيقاع راقصة روسية

قالت لى صديقتى (النساء والأطفال.. أولى الضحايا فى الحروب والأزمات.. وهم أكثر الناس احتياجاً للأمان والسلام الحقيقى).

زرت الاتحاد السوفيتى السابق عدة مرات كانت بدايتها فى مستهل سبعينيات القرن الماضى بدعوة من المستشار الثقافى الراحل الدكتور أسامة الخولى.

وقد بهرتنى فى هذه الزيارة أشياء كثيرة فى مجال الرعاية الصحية والخدمات التى كانت تقدمها الدولة لمواطنيها خصوصاً فى مجالى التعليم والثقافة.. وأبرز ما شد انتباهى آنذاك حضانات الأطفال الرائعة والاهتمام الرفيع المستوى الذى كانت توليه الدولة للطفل من رعاية طبية ونفسية وحرص على اكتشاف مواهبه وقدراته الفطرية والمتوارثة وإخضاعه لسلسلة طويلة من الاختبارات كانت تنتهى بوضع برنامج متعدد المراحل لمساعدة الطفل على النمو بصورة سوية، كم تمنيت كما تمنى أستاذنا الراحل العظيم محمد مندور أن أكون طفلاً فى الاتحاد السوفيتى لأنه على حد قوله «إن الطفل هناك ملك متوج» كذلك المرأة السوفيتية التى حررتها القوانين الاشتراكية من العبودية المزدوجة عبودية الموروثات التاريخية وعبودية العوز الاقتصادى والتهميش الاجتماعى والسياسى مما ساعد على إطلاق الطاقات الإبداعية للنساء فأصبحن عالمات متميزات وبطلات مرموقات دولياً فى الرياضة والباليه ومناضلات حقيقيات فى كل مناحى الحياة فى الطب والتمريض والتعليم

وعلوم الفضاء وبرزت أسماء عديدة مثل فالنتينا أول امرأة تجوب الفضاء مع الراحل جاجارين فى نهاية الخمسينيات، لقد استمتعت بعروضهن الفذة فى مسرح البولشوى كما لا أنسى مشاركتهم فى تقديم أشكال المساندة لحركات التحرر الوطنى العربية والإفريقية التى لمسناها فى المؤتمرات الدولية، وقفوا معنا فى معاركنا من أجل تحرير الجزائر وفلسطين والمطالبة بالإفراج عن مانديلا والدفاع عن حقوق شعوب الكونغو وناميبيا وجنوب إفريقيا وزيمبابوى وأنجولا وموزمبيق وبكوا معنا عند اغتيال جيفارا، واللينددى وساعدونا على كشف دسائس ومؤامرات الصهيونية العالمية واحتضنوا العديد من أبنائنا وبناتنا الذين أوفدناهم فى بعثات دراسية بالاتحاد السوفيتى، وقدموا لهم كل أشكال الرعاية العلمية والإنسانية، كما لا ننسى مبادرتهم التاريخية فى بناء السد العالى، ومشاركة المئات منهم فى عمليات بناء وإنجاز جميع مراحل هذا الصرح الشامخ، ثم توالت زياراتي للاتحاد السوفيتى خلال حقبة الثمانينيات، والتى تراوحت بين المشاركة فى المؤتمرات العلمية وإلقاء المحاضرات فى معاهد الصحافة وأيضاً للعلاج، وعلى امتداد هذه الزيارات قابلت عشرات النساء السوفيتيات من مختلف الأجيال كان البعض منهن قد عاصرن الحرب العالمية الثانية وقدمن تضحيات هائلة من أجل دحر النازية وكن يحرصن فى حفلاتهم المنزلية التى دعيت إليها أن يبدأن هذه الحفلات بأغنيات النصر حيث كانوا يشتركن مع رفاقهن من المحاربين القدامى فى العزف على البيانو والجيتار وترتفع أصواتهم الجماعية وقد امتلأت بزخم من الحيوية، التى تفوق أعمارهم التى تجاوزت الخامسة والسبعين فى ذلك الوقت، تداعت هذه الذكريات فى لحظة غير متوقعة عندما أعلنت زوجة شقيقى أنها قد أعدت مفاجأة لشقيقها فى ختام عرسه وإذ بها تعلن عن هديتها الفاخرة الراقصة الروسية كاتيا انتفضت على الفور وأخذت أحدق فى قوامها السمهرى وقدرتها الفذة على القفز هنا وهناك بإيقاع

سحرى أعاد إلى ذاكرتى إيقاعات راقصات الباليه فى عروض البولشوى الخالدة، ما أبعد ذلك الزمان الجميل، وما أشقانا فى هذا الزمن التعيس الذى يشهد راقصات البولشوى يتحولن إلى محترفات للرقص الشرقى ويتم استئجارهن لإحياء الأفراح والليالى الملاح فى أعراس أبناء القادمين من الخليج وأثرياء حقبة النفط اللعينة، دارت برأسى الذكريات وتوقفت عند نقطتين ذوي دلالة.. النقطة الأولى فى مترو الأنفاق بمدينة باريس شهر مايو عام ١٩٩٣ وكنت أهرول مسرعة للحاق بموعدى فى السفارة الجزائرية للحصول على تأشيرة حيث كان من المقرر سفرى إلى الجزائر لمناقشة أحد طلابى فى رسالة الدكتوراه.

وكانت تصحبنى إحدى طالباتى التى تعد رسالة الدكتوراه بجامعة السوربون، وإذ تعترض طريقنا سيدة فى منتصف العمر تشى ملامح وجهها بالجدية والذكاء وترتدى ملابس لا تخلو من الأناقة وتؤكد انتماءها لشريحة النساء المهنيات وتتحدث الفرنسية بطلاقة وتقف بجوار عدد من الكئوس الفضية الضخمة ذات النقوش النادرة وبدأت تسرد قصتها قالت إنها أستاذة بأكاديمية العلوم السوفيتية وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى اضطرت إلى اللجوء إلى باريس يصحبها زوجها عالم الكيمياء وأطفالها الثلاثة وأنهم لم يتناولوا الطعام منذ خمسة أيام وتود بيع هذه الكئوس التى حصلت عليها هى وزوجها فى مناسبات علمية مختلفة مقابل أى ثمن انعقد لساننا من المفاجأة واعتذرنا لها بتمتمات غير مفهومة ولكننا وفى وقت واحد فتحنا حقائبنا لإخراج ما تيسر من النقود لإعطائها لهذه العالمة السوفيتية التى انهار وطنها على رءوس ملايين الشرفاء أمثالها، رفضت بشموخ وإصرار أن تأخذ فرنكا واحداً واستدارت إلى كئوسها فى انكسار موجع.

عندما خرجنا من محطة المترو إذ برفيقتى تجلس على أول أريكة تصادفها وتنخرط

فى بكاء مر وتصيح: ما الذى يضمن لنا حياة كريمة تليق بنا بعد أن نشقى ونجتهد ونحصل على أرفع الدرجات العلمية ثم تنهار أوطاننا بفعل الفساد أو المؤامرات أو أى سبب آخر، اللقطة الثانية كانت فى دولة البحرين فى صيف عام ١٩٩٨ عندما دعيت لاستلام إحدى الجوائز العلمية عن أحد بحوثى الجامعية عن المرأة والإعلام، ذهبت إلى إحدى المكتبات لشراء بعض الكتب وكانت ترافقنى إحدى الصديقات وهى أستاذة جامعية بحرينية معروفة بمواقفها القومية وعلى عتبة المكتبة وقفنا نتناقش حول آخر إنتاج عبد الرحمن منيف وإذ بى أرى بعض النساء الروسيات يخرجن من مبنى مجاور وفى حالة تبرج غير عادى أبديت دهشتى، أخبرتنى صديقتى والأسى يملأ عينها قالت: ألا تعلمين أن هذه العمارة مخصصة للنساء الروسيات المشاركات فى شبكات الدعارة الدولية« ألقيت بـ «مدن الملح» لعبد الرحمن منيف على المنضدة المجاورة وانتابتنى رعدة مفاجئة ولم أعلق ولكن كانت ملامح وجهى تحمل سحابات من الحزن والغضب الذى لاحظته الصديقة البحرينية فأسرعت تحاول أن تهدئ من روعى قائلة: «إن النساء والأطفال هن دائماً أولى الضحايا فى الحروب والأزمات التى تواجه الأوطان وهم أكثر الناس احتياجاً للأمان والسلام الحقيقى ولكن هل يدرك الساسة والحكام تلك الحقيقة البديهية.. أشك كثيراً خصوصاً بعد أن تحول معظمهم إلى خدام لمافيا السوق و الاستثمارات المريبة والصفقات المشبوهة!!».

الأهالى ١١/ ١٠/ ٢٠٠٦

23 هذه الهدايا الإجبارية

كنت فى زيارة لإحدى قريباتى من اللواتى يعملن بإحدى الجامعات الخاصة. وقد هالنى كم الأكياس المملوءة بالهدايا والمكدسة فى صدر الصالون فلما استفسرت منها عن هذه الهدايا، أشارت باقتضاب عيد الأم سألتها، ومن هؤلاء السعيدات المحظوظات، أنا أعلم أن لديك أمك وحماتك فقط، إذن لمن الباقى عاجلتنى قائلة للأسف هدايا أمى وحماتى ليست بين هذه الأكياس، بل هذه هدايا سيقدمها أولادى لمدرسيهم من النساء والرجال بمناسبة عيد الأم والأسرة، وكم تكلفت هذه الهدايا؟، أجابت بحسرة ألف وخمسمائة جنيه! دارت رأسى وانتابتنى شحنة من الدهشة الممزوجة بالعضب والأسى، والتعجب، وتذكرت على الفور ذكرى بعيدة ترجع إلى عام ١٩٥٦ عندما اقترح الراحل مصطفى أمين تخصيص يوم ٢١ مارس عيداً للأم رداً على رسالة وصلته من إحدى الأمهات تشكو من عقوق ابنها الوحيد، وقد استجابت الجهات الرسمية والشعبية لهذه الدعوة، ومنذ ذلك الحين أصبح عيد الأم مناسبة جليلة تضم الأمهات والأبناء فى جميع أنحاء الوطن، وانتهز التجار هذه المناسبة واستثمروها بكفاءة واقتدار، وتدريجياً انفصلت هذه المناسبة عن أهدافها الحقيقية، ولم تعد الوردة الجميلة أو الهدية الرمزية كافية فى عيد الأم، بل لقد انعكست روح العصر على جوهر المناسبة وأفقدتها مغزاها إذ اتسعت دوائر المستفيدات والمستفيدين بعيد الأم من المدرسات ورؤساء العمل والطامعين والطامعات من كل حدب وصوب، وأتساءل أى قيمة يمكن أن يغرسها المعلمون

فى وجدان وذاكرة تلاميذهم عندما يفرضون عليهم هذه الإتاوات الإجبارية التى تشيع المقارنات الجائرة بين الأطفال، وتنشر بينهم التفاخر البغيض، والتنافس الممقوت لإرضاء المعلمات، بل وتكرس كل القيم السلبية بين الأجيال الجديدة، ألا تكفى الدروس الخصوصية التى امتصت دماء الآباء، وقهرت الأسر، وأثقلت كاهلهم؟!

الأهرام – الأربعاء ١٧ مارس ٢٠٠٤

obeikan.com

24 احتجاج الأحفاد

من الأعمال المجيدة التى يقوم بها التليفزيون المصرى حسن اختيار مواعيد إذاعة وبث برامج الأطفال، إذ يصر المسئولون على بثها يومياً فى الساعة ١٠,٣٠ – ١١ صباحاً حيث يكون جميع الأطفال من سن الخامسة فصاعداً فى مدارسهم فلا يتعرضون لهذه البرامج التى تكرس الضحالة والتفاهة وتعكس سطحية معدى هذه البرامج، فضلاً عن افتقار مقدميها للثقافة العامة، وتلك التى تتعلق بتنمية وعى وثقافة الطفل المصرى. وقد أعرب لى أحفادى عن احتجاجهم عدة مرات على مضامين هذه البرامج عندما أتيح لهم فى فترات الأجازة مشاهدة هذه البرامج، ويحمدون الله أنها تذاع فى فترات غيابهم عن المنزل ووجودهم بالمدرسة ويقولون: هل من المعقول أن تدور معظم هذه البرامج حول الموضوعات والأسئلة الروتينية التى تجاوزت قدراتهم بحكم إطلاعهم على مجلات الأطفال وتعاملهم مع الإنترنت عدا الخبرات العديدة التى يستقونها من مصادر المعرفة المختلفة فى المنزل وجماعات اللعب والمدرسة والنادى ومسرح الطفل ومهرجانات أفلام الأطفال وبرامج الأوبرا. ويواصلون احتجاجهم قائلين رداً على سؤالى هل هناك بعض الأمثلة هناك عشرات الأمثلة مثل السؤال الذى توجهه المذيعة إلى الأطفال عندما نستيقظ من النوم فى الصباح ماذا نقول لبابا وماما، عندما يزورون حديقة الحيوان تسألهم المذيعة اتبسطت من الجنينة تحب تزورها تانى؟ مين كان معاك غير ماما وبابا؟ ولا تسألهم عن أنواع الحيوانات ومعلوماتهم عنها ولا تكمل لهم المعلومات الناقصة وتسألهم

عن أنواع الخضار والفاكهة التى يأكلونها، ولا توضح لهم المزايا الصحية ولا الأسلوب الصحيح لتناولها وفوائدها الغذائية، ويتساءل أحفادى لماذا لا تهتم هذه البرامج بعرض خريطة مصر وشرح حياة السكان والأطفال فى محافظات الصعيد والإسكندرية وسيوه والسويس وبورسعيد والمنصورة، إحنا ما نعرفش حاجة عن الناس خارج القاهرة وبرضه الطفل العربى ليه ما يعرضوش كل مرة عن بلد عربى على الخريطة ويقولون لنا عن الأطفال فى فلسطين ولبنان والعراق وليبيا والجزائر وإزاى عايشين فى الحروب التى نسمع عنها ونراها فى نشرات الأخبار. وأيضاً عن العالم، عاوزين نعرف الأطفال فى أمريكا وأفغانستان والصين واليابان وإنجلترا عايشين إزاى وإيه اللعب اللى يفضلوها والكتب التى يقرأونها وطعامهم إلخ.

انتهى كلام أحفادى ولا تعليق!

جريدة الأهرام - ٢٧/ ٢/ ٢٠٠٢

25 الورقة السحرية

أرست المحكمة الإدارية العليا بمجلس الدولة مبدأ قانونياً مهما يؤكد أن الكفاءة والتفوق العلمى يجب أن يكونا الأساس فى اختيار العاملين بمجلس الدولة والهيئات القضائية عموماً، وذلك بمناسبة الدعوى التى رفعها أحد المواطنين الشبان اعتراضاً على رفض تعيينه لشغل وظيفة مندوب مساعد فى مجلس الدولة برغم حصوله على ماجستير فى القانونين العام والخاص دفعة ٢٠٠٢ واجتيازه المقابلة الشخصية وذلك فى الوقت الذى تم فيه قبول أحد زملائه بنفس الوظيفة رغم حصوله على تقدير مقبول فى الليسانس بعد أن أمضى سبع سنوات فى كلية الحقوق جامعة الإسكندرية، ولكن «الواسطة اللعينة» رجحت كفته وجاءت حيثيات الحكم بليغة وشديدة الدلالة إذ أكدت المحكمة أنه لا يجوز لرؤساء الهيئات القضائية تعيين الأدنى فى الدرجات العلمية، والأقل فى مرتبة التخرج (الليسانس) عند تساويهما فى اجتياز المقابلة الشخصية بنجاح، وأن ذلك يعد مخالفاً للأساس القانونى فى التعيين بالوظائف العامة على أساس الكفاءة العلمية، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل طالبت المحكمة المسئولين بتدارك تلك الظاهرة قائلة إن السماح لضعفاء الفكر والكفاءة القانونية باعتلاء مناصب القضاء من شأنه أن يحكموا بين الناس بغير علم فيضلوا ويضلوا فى الوقت الذى ينظر فيه إليهم المتفوقون والمجاهدون فى سبيل العلم من بعيد يعصرهم الحقد والحسرة.

ومن خلال هذا الحكم ألقى نظرة بانورامية على جميع المواقع التنفيذية

والتشريعية والقضائية فى مصر وأتامل تجربة المجتمعات المعاصرة التى انهارت وتلك التى فى سبيلها إلى الانهيار فتتزاحم فى ذاكرتى الشواهد الموجعة والمفارقات الأليمة والعبر والعظات ولعل أبرزها تلك القصة المتداولة عن أسباب انهيار الاتحاد السوفيتى ومحاولة المخابرات المركزية الأمريكية تجنيد أحد العملاء من الشخصيات البارزة فى الحزب الشيوعى السوفيتى، وقد ركزت مطالبها فى الاكتفاء بأن يقوم هذا المسئول باختيار العناصر غير الأكفاء وترشيحهم لشغل المواقع الحساسة فى جهاز الدولة، وقد قام هذا المسئول بتنفيذ مطلبها على مدى عشرين عاماً انتهت بالانهيار الداخلى لجهاز الدولة!

وعندما استعيد هذه القصة المؤلمة تقفز إلى الذاكرة تجربة الشاب المصرى الذى انتحر بسبب عدم قبوله فى امتحان الملحقين الدبلوماسيين بوزارة الخارجية، وكان السبب المعلن لرفضه عدم لياقته الإجماعية فى الوقت الذى تم فيه قبول عشرات العاجزين علمياً والذين يعانون الضحالة الثقافية والعلمية، ولكنهم يملكون الورقة «الواسطة» التى تبرر قبولهم وليس مهما أن يمتلئ السلك الدبلوماسى المصرى خلال السنوات المقبلة بالعديد من ذوى العاهات المبتسرين فكرياً ووطنياً ومهنياً، هؤلاء الذين يجيدون فقط فن البروتوكول والانحناء فى المآدب الرسمية والمؤتمرات الدولية ولكنهم يفتقرون إلى الحد الأدنى من الكفاءة العلمية والقدرة على مواجهة تحديات العصر، بسبب بسيط هو أنهم لا يحملون رؤية ولا تتحمل أعوادهم الهشة عبء الدفاع عن قضايانا المصيرية فى المحافل الدولية.

وأتأمل الحال فى جامعاتنا المصرية فإذا بى أجد عشرات الأمثلة التى عاصرت معظمها ويزودنى زملائى فى الجامعات الأخرى بالمزيد منها، وتتلخص فى اختيار أقل العناصر كفاءة من الناحية المهنية والعلمية وأكثرهم هشاشة من الناحية

الأخلاقية، لكى يشغلوا المواقع القيادية فى إدارة الجامعات والكليات والأقسام العلمية والمراكز البحثية، وذلك بسبب الإصرار على حرمان أساتذة الجامعات من حقهم المشروع فى اختيار وانتخاب قياداتهم، والضحايا بالطبع هم البحث العلمى والعملية التعليمية والأجيال الجديدة من الطلاب التعساء وهنا من الطبيعى أن يكون نصيبنا هو الخروج من قائمة أى تصنيف عالمى أو إقليمى للجامعات المتميزة علمياً ومهنياً.

إننى أدعو إلى تعميم هذا الحكم القضائى التاريخى وتطبيقه على كل المواقع والهيئات والوزارات صيانة لما تبقى من حرص على استمرارية هذا الوطن الذى يظللنا جميعاً فقراء وأغنياء شرفاء وأدعياء وانتهازيين فهل نفيق ومتى؟!.

جريدة الأهرام – ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٦م

26 بانوراما احتفالات رأس السنة

فى نهاية القرن التاسع عشر، بدأت عادة الاحتفال برأس السنة الميلادية تغزو المجتمع المصرى، وعلى الأخص شرائحه العليا من سكان العاصمة والمدن الكبرى، وذلك فى سياق تغلغل الأجانب فى الحياة الاجتماعية للمصريين فى عصر الخديوي إسماعيل، بينما ظل أهالى الريف والطبقات الشعبية فى المدن يحتفلون برأس السنة الهجرية، ونادراً ما كان يحدث الاحتفال برأس السنة الميلادية إلا بعض الاستثناءات القليلة التى تمثلت فى كبرى البيوتات القبطية فى عواصم الصعيد وبنادرها.

والمعروف أن الاحتفال برأس السنة الهجرية، يعنى فى الموروث الشعبى أن يتم ذلك بأكل (الزفر)، أى ذبح الطيور مثل الدجاج والبط والأوز والحمام، وتؤكل مع الفطائر، أو الكسكسى، وتتلى آيات الذكر الحكيم والتواشيح ، وأحيانا تقام الأذكار الدينية فى تلك الليلة المباركة، حيث يجتمع أفراد الأسرة حول الأب والأم ويشاركون فى قراءة جزء من الآيات القرآنية، وأحيانا تحتفل الأسرة بأحد النذور، أو بإقامة ختمة، حيث يقوم عدد من الفقهاء بقراءة آيات القرآن الكريم وختمها، ويبدأون بعد صلاة العصر، ويستمرون حتى فترة ما بعد العشاء، ثم تبدأ صوانى الفتة والخراف والماعز، التى يقبلون عليها بشهية منقطعة النظير. ولابد من ذكر الراحلين في ذلك اليوم ، حيث يقوم أفراد العائلات في صعيد مصر بزيارة القبور، وتوزيع الصدقات ويسمونها (الرحمة)، المكونة من التمر والنبق والكعك والقرص وأحيانا البرتقال إذا كان الموسم فى الشتاء.. وتتوارى عادة الاحتفال برأس السنة

الهجرية فى المدن والعاصمة فلا يحتفل بها إلا الطبقات الشعبية والعائلات المتدينة وفى إطار محدود يقتصر على ضرورة إعداد طعام دسم فى تلك الليلة. أما الاحتفال برأس السنة الميلادية فقد أصبح طقساً شبه قومى، شمل معظم الفئات الاجتماعية. وقد أتيح لى فى الفترة الأخيرة أن أشهد هذا الاحتفال لدى شرائح اجتماعية وثقافية متنوعة.

كان الاحتفال الأول مع مجموعة من المثقفين فى منزل أحدهم. كان الجميع يرتدون أفضل ما لديهم ، وهذا معناه أن النساء وضعن بعض الإكسسوارات (إيشاربات - بروشات) فوق ملابسهن التى غالبا ما يذهبن بها إلى العمل، ويشاركن بها فى اجتماعات وندوات المثقفين. أما الرجال فلا تغيير يذكر. بل إن بعضهم كان يرتدى الملابس العملية النهارية (بلوفرات وقمصان مقلمة وچاكيتات متواضعة.. إلخ) وقليل من النساء ذهبن إلى الكوافير، وانعكس ذلك على تسريحة الشعر. وكان الحديث يدور حول قضايا الوطن وعجز العرب، وهيمنة أمريكا وحلفائها، وبطولة الفلسطينيين، ومأساة أفغانستان وشعبها، وعن بعض المثقفين الذين يلهثون للفوز بعضوية الحظيرة الحكومية للثقافة.. ولا يفوت الحاضرين السخرية من المثقفين الرسميين، خصوصاً هؤلاء الذين يزعمون أنهم مقموعون - وكان بعضهم حاضراً فى الاحتفال- فى الوقت الذى يتمتعون بامتيازات وصلاحيات تفوق صلاحيات أى وزير ثقافة أسيوى أو إفريقى.. ولم يكف المثقفون الحاضرون عن الخوض فى سير الحكام، ولصوص الأوطان من رجال الأعمال المزعومين، ونهابى البنوك ، وذلك أثناء التهامهم المزة المكونة من أطباق الترمس والخيار والجزر، والفول السودانى، واقتصرت المشروبات على نوعين من الكحوليات: الويسكى. والبيرة، غير المشروبات الأخرى مثل الكوكاكولا، وعصير البرتقال.

أما الاحتفال الثانى فقد كان منذ عدة أعوام، عندما دعانى أحد زملائى بالجامعة، وهو متزوج من أجنبية (سيدة من شمال أوروبا). التقيت فى مدخل الفيلا بشجرة عيد

لليلاد مضاءة بألوان مبهجة، وعلى البساط الأخضر فى الحديقة تناثر المدعوون، ومنهم بعض الأجانب . وكانت النساء يرتدين ملابس السهرة السوداء الشفافة. وكان بعضهن يغطين أكتافهن بالشيلان ذات التطريز الروسى القديم، والبعض الآخر كن يضعن بلا مبالاة فرو المنك ، حيث كانت تتدلى فوق أجسادهن رؤوس الثعالب ، وسائر الحيوانات المحرم صيدها دوليا. وكانت تتدلى من آذانهن الأقراط الماسية، حيث تتعانق الألوان القرمزية والفضية فى إطار خلاب . كان الجميع وقوفا ويتهادى أغلبهن فى ليونة ودلال، وقد التفت حول أعناقهن القلادات البلاتينية المنمنمة ذات البريق الأخاذ.

وكان الجميع يرتشفون كئوس الشمبانيا والويسكى، وأنواعا أخرى من الكحوليات لا أعرف اسمها بالضبط وكان بعضهم يتحدث بالإنجليزية أو الفرنسية ، وكان البعض يناقش بصوت مرتفع نسبيا الصفقات وأسعار البورصة ، ومستقبل العملة الأوربية الجديدة (اليورو)، وفى ركن منزو كان يجلس بعض أساتذة الجامعات يرتشفون أكواب العصير، وقد استغرقهم الحديث عن الشللية ومخالفات بعض رؤساء الجامعات، وحالات الثراء المفاجئ التى أصابت بعضهم، وعن اختيارهم دون معايير موضوعية، وعن انحسار الدور الثقافى للجامعات ، وسيادة الروح النفعية لدى الأجيال الجديدة من الباحثين. ثم أطفئت الأنوار وأعلن مولد عام جديد. وأعلنت سيدة الدار عن افتتاح البوفيه، الذى كان ممتدا بطول الحديقة، وقد امتلأ بالديوك الرومية الذهبية اللون، والحيتان الكبيرة المحاطة بالمايونيز والكافيار، وأنواع غير مألوفة لى من الفطائر والمعجنات. واكتفيت بكسرة صغيرة من الخبز الأسمر، مع بعض أنواع الجبن الأبيض، حفاظا على سلامتى المعوية والنفسية. وكل رأس سنة وأنتم طيبون.

جريدة الأهالى – يناير ٢٠٠٧

27 العرافة وهموم فتاة مصرية

قالت العرافة للفتاة القلقة على مستقبلها «أرك تلبسين ثوب الزفاف ذى اللون الأسود وتتدحرجين من قمة جبل شاهق» علقت الفتاة بصوت خافت «ألا يكفى ما لاقيته من أهوال بسبب دفاعى عن حقوق أهلى المغلوبين على أمرهم وكرامة وطنى الذى داسته أقدام البغال وتسلق فوق أكتافه الانتهازيون والسماسرة وعملاء العدو الصهيونى والأمريكى وأصبح شرفاء القوم أذلاء يغالبون أقدارهم بما يمتلكوه من معرفة ووعى وعرق وكفاح متواصل من أجل حماية أطفالهم وإنقاذ نسائهم» ضحكت العرافة بسخرية وقالت : (الغريب أن أحد كبار المسئولين المتهم فى عدة قضايا فساد والإتجار فى المواد الممنوعة وتمتد أملاكه على اتساع عدة محافظات قبلى وبحرى ويمتلك عدة قصور فوق ضفاف البحر والنهر وتبلغ أرصدته فى بنوك سويسرا عدة مليارات هذا الشخص جاءنى وألقى أمامى عدة آلاف من الجنيهات وطلب منى أن أرى طالعه وقد رأيت العجب فى هذا الطالع رأيته يقف فوق سفينة كبيرة زاهية الألوان وبجواره مراكب صغيرة مهشمة وقديمة يرتدى ملابس الملوك ويرفع يده بعصا أبنوسية ويغنى وأنت التى تكافحين لا تجدين سوى المطاردة والتشريد والعوز ما هذا الغم سوف أكسر بللورتى وأعتزل هذا العمل)، ردت عليها الفتاة لا تكسرى بللورتك ولا تعتزلى هذا العمل لأن بللورتك تقول الصدق أكثر من إعلامنا المشوه والمسئولين الكبار الذين يكذبون جهاراً نهاراً ولا يكفون عن الإدلاء بالتصريحات الوردية ويساعدهم الإعلام الرسمى الفاسد الذى أدمن

التضليل وإخفاء الحقائق وانجرف ضمن جوقة المفسدين وأصبح همه الأكبر التركيز على مباريات الكرة ومسابقات الوهم بالإثراء وإغراء ملايين المواطنين المفقرين بالجرى خلف الآمال الضائعة وأوهام الكسب الحرام. التقطت الفتاة أنفاسها وتناولت كوباً من الماء ثم استطردت بصوت مجروح يظلله الشجن ويغلفه اليأس قالت لقد استشهد أبى فى حرب ١٩٤٨ ولحقه ثلاثة من أشقائى وأبناء عمومتى فى حرب ١٩٥٦ ثم ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف ١٩٦٩ واكتملت المأساة بإصابة شقيقتى بالعمى نتيجة إصابتها بخراطيم مياه النار من رجال الأمن فى إحدى مظاهرات طلاب الجامعة ضد اتفاقية الصلح مع العدو الصهيونى عام ١٩٧٩ لقد علمونا أنه لا كرامة لمواطن فى وطن مهان يبيع أرصدته وصناعاته وكرامته فى سوق النخاسة ونخر سوس الفساد فى جميع أركانه وكلما لجأت إلى أحد الكبار كى يساعدنى فى العثور على عمل شريف يحاول استدراجى للعمل معه فى حمل حقائب مشبوهة ونقلها إلى عواصم أجنبية أو استخدامى كواجهة لصفقات مشبوهة وكلما امتنعت حاصرونى وهددونى فى رزقى وأمانى الشخصى وسمعتى حتى أصبحت جميع أبواب الرزق الشريف مسدودة فى وجهى ماذا أفعل؟!

أجهشت العرافة بالبكاء واحتضنت الفتاة وقالت لها «إن الله يمهل ولا يهمل وسوف يأتى الفجر مهما طال الليل لا تيأسى من رحمة الله».

صوت الجامعة ١٠ إبريل ٢٠٠٧

28 الواحة المنسية

فى صحبة فريق متميز من أعضاء نقابة الصحفيين أتيحت لى زيارة الواحات البحرية التى تبعد عن القاهرة ٣٦٦ كيلومترا والتى شهدت فى الماضى البعيد وبالتحديد خلال الحقبة الرومانية ازدهاراً حضارياً كان امتداداً للحقبة الفرعونية إذ كان يسكنها مليون فرد عمروا الأرض وزرعوها بأشجار الزيتون وبنوا المعابد والمقابر وسجلوا على جدرانها مظاهر الحياة اليومية ثم تغيرت الأحوال فى العصور التالية وهجرها الناس ولم يعد يسكنها سوى ٣٥ ألف مواطن يعيشون على فتات ما تركته لهم الظروف من بقايا الحضارة القديمة التى تباهى بها أسلافهم وتتمثل فى زراعة فقيرة وحرف شبه مندثرة وأنشطة خدمية لأفواج السائحين القادمين من أوروبا وألمانيا وايطاليا ومن اليابان الذين يأتون مدفوعين بحب الطبيعة والحياة الفطرية للتعرف على بقايا الحضارة القديمة والاستمتاع بالرحلات الصحراوية التى تتميز بها هذه الواحة الرائعة التى تنفرد بمساحة شاسعة من الصحراء البيضاء الزاخرة بأجمل ما وهبته الطبيعة من جبال بللورية وتماثيل طبيعية للشجر والبشر.

تجولنا فى الواحة والتقينا بالوجوه الطيبة من الرجال ولم نشاهد وجه امرأة واحدة من أهالى الواحة فهى تعيش خلف أسوار كثيفة من التقاليد الصارمة التى تحرمها من المشاركة والتفاعل مع حركة الحياة والعطاء خارج البيوت ورغم انتشار التعليم بين الأجيال الجديدة فى الواحة إلا أن التقاليد لا تزال لها سطوتها الذكورية التى تخيم على العقول والنفوس وتحول دون التفكير فى مواكبة العصر الذى يشهد حراكا مجتمعيا

تصدره الطلائع المستنيرة من الرجال والنساء معاً. وبرغم ما يتميز به أهالى الواحة من روح الانتماء الأصيل للوطن وتراثه وتاريخه العريق إلا أنهم يشعرون بكثير من الأسى والمرارة بسبب عدم تحديد انتمائهم الإدارى، فهم تارة يلحقون بمحافظة مرسى مطروح ثم يغير الحكم المحلى تبعيتهم ويصبحون تابعين لمحافظة الجيزة وأخيرا أصبحوا ملحقين بالمحافظة الجديدة المسماة ٦ أكتوبر وقد تسبب هذا الوضع فى تهميشهم وحرمانهم من رعاية الدولة سواء فى قطاع المشاركة السياسية فلا يوجد بها إلا الحزب الوطنى الحاكم ولا يوجد تمثيل للأحزاب الأخرى ولا توجد بالواحة جامعات أو معاهد ويقتصر التعليم فيها على بضع مدارس ابتدائية وإعدادية وثانوية واحدة وثلاثة معاهد أزهرية. ورغم حصول قرية منديشا على الجائزة الأولى فى النظافة فى محافظة الجيزة التى تشكو من تراكم القمامة فى مختلف ميادينها وشوارعها وأيضا حصول عاصمتها مدينة الباويطى على المركز الأول فى النظافة فى محافظة ٦ أكتوبر إلا أن باقى قرى الواحة تعانى معاناة شديدة من نقص الخدمات خصوصا فى مجالات الصحة فلا يوجد بها سوى مستشفى مركزى يفتقر إلى الإمكانيات الطبية والبشرية فلا توجد غرفة إنعاش ولا بنك دم ولا غسيل كلى ولا معامل تحليل ويديرها طبيب ممارس عام بدون كوادر تمريض.

وقد تعرض العديد من الأهالى للوفاة والإصابات البالغة بسبب عدم وجود سيارات إسعاف وأطباء متخصصين علاوة على الطرق الترابية غير المرصوفة وغياب الإنارة وعدم وجود شبكة مواصلات داخلية.

لقد حملنى أهالى الواحات البحرية مطالبهم المشروعة والضرورية وأناشد المسئولين فى وزارات الصحة والثقافة والكهرباء والحكم المحلى أن يضعوا هذه الواحة على أجندتهم وأن يحاولوا تعويضها عما لاقته من نسيان وتقلب وعدم استقرار بين المحافظات فهى تضم أغلى ما أنجبه الوطن من بشر وما تركته الحضارة المصرية من آثار.

الأهرام – الأحد ٢٨/ ٣/ ٢٠١٠

29 خدم المراحل المنحطة

جاءتنى صحفية تعمل فى إحدى الصحف المستقلة لإجراء حوار معى عن هؤلاء الذين كانوا يروجون للتطبيع مع إسرائيل ويتظاهرون الآن بتأييد المقاومة الفلسطينية فى مواجهة حرب الإبادة الصهيونية بادرتنى بالقول : أريد أن أعرف أين كان هؤلاء عندما كان يناضل الفلسطينيون من أجل حقوقهم الوطنية المشروعة بينما كان هؤلاء يرفعون أعلام التطبيع ويتبادلون الزيارات مع الإسرائيليين ويستقدمون الوفود الإسرائيلية كسياح وكخبراء فى الزراعة بل ولا يستنكفون مشاركة أعضاء السفارة الإسرائيلية فى مصر فى احتفالهم بيوم ١٥ مايو الذى يعتبرونه عيد استقلالهم وهو فى الواقع أسود يوم فى التاريخ العربى يوم اغتصاب فلسطين وتسليمها للصهاينة، وتحت مظلة كامب ديفيد والصلح مع العدو الصهيونى، قام الإسرائيليون على مدى عشرين عاماً بمسح المجتمع المصرى من أسوان إلى مرسى مطروح وتسللوا إلى كافة الأماكن والمواقع الهامة والحساسة فى كل قرية ومحافظة وميناء ودير ومدرسة ومستشفى فى شمال مصر وجنوبها وانتهكوا خصوصيتنا وسبروا أغوار خفايانا وكوامن أسرارنا الحياتية وفى اللحظة المناسبة لهم هددونا بضرب السد العالى، قلت لها ولكن المظاهرات التى شارك فيها الآلاف من شباب مصر وأطفالها ونسائها أكدت بما لا يقبل الجدل أن مصر الحقيقية ترفض الوجود الصهيونى وتدرك بفطرتها وبتاريخ شهدائها أنه لا سلام ولا استسلام لكل أشكال المساومة والتواطؤ والخداع وإذا كان هناك فئة ضالة قد انساقت خلف الأوهام فإن مصر بتراثها الوطنى وضميرها القومى ووعى طلائعها المستنيرة

والملتزمة قد اكتسحت هؤلاء المتنطعون كما كشفتهم وقاطعتهم منذ البداية ودليل ذلك موقف النقابات المهنية ونوادى أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الذين قاطعوا التطبيع وجرموا كل من تسول له نفسه أو مصالحه الأنانية زيارة إسرائيل أو إقامة علاقات معها.

واصلت الصحفية حديثها بانفعال قائلة: ماذا يقول هؤلاء المطبعون والمروجون للصلح مع العدو الصهيونى بعد أن انكشفت الأستار وزال الوهم؟ ماذا يقول الوزراء الذين كرسوا جهود وزاراتهم لخدمة الإسرائيليين وأصبحت مكاتبهم مزاراً دائماً للوفود الصهيونية؟ ماذا يقول الكتاب والصحفيين الذين زاروا إسرائيل عدة مرات وأصبحوا أبواقاً للترويج للصلح مع العدو الصهيونى وتطبيع العلاقات معه؟ ولماذا يظل الصحفيون الذين كشفوا بالوثائق والأدلة الدامغة أهوال التخريب الذى ألحقه الإسرائيليون بالزراعة المصرية وحولوا حقولنا الخصبة إلى أراضى بور بتقاويهم المسمومة ألا يدعونا ذلك إلى إعادة النظر فى مفهوم التطبيع ذاته؟ تتساءل ثم تجيب: إننى أرى أن التطبيع يعنى أساساً عودة العلاقات إلى وضعها الطبيعى مع الدول التى تربطنا بها مصالح وعلاقات تاريخية، أما العدو الصهيونى الذى يهدد وجودنا ذاته وليس مصالحنا وأمننا القومى فحسب هل يمكن إقامة علاقات طبيعية معه؟ إن التطبيع مع إسرائيل يعنى فى جوهره عودة العلاقات إلى وضعها الطبيعى أى العداء والخصومة التاريخية والآتية والمستقبلية مع هؤلاء الذين جاءوا من الدول الأوروبية كى يغتصبوا أراضينا وينتهكوا حقوقنا ويشردوا أهلنا فى فلسطين وبدلاً من أن يحلوا مشكلتهم مع أوطانهم الأوروبية التى اضطهدتهم ولفظتهم وصدرت أزمتهم إلى العالم العربى دون ذنب جنيناه جاءوا إلينا كغزاة وسفاحين. نتساءل مرة أخرى: هل نحن مسئولون عن المشكلة اليهودية إنها مشكلة أوروبية ويجب أن يحلها هؤلاء الذين خلقوها.. صمتت الصحفية قليلاً ثم استطردت: حتى المطربين الذين أصبحوا يجيدون الأغانى ويتغزلون فى الشعب الفلسطينى وبطولاته أين كانوا فى السنوات الماضية

عندما كانوا يصدعون رؤوسنا بالأغانى التافهة والهابطة؟ هنا تدخلت كى أهدئ من انفعالها وأوضح لها بعض الأمور قلت لها: باعتبارك دارسة للتاريخ سوف تفهمين جيداً ما سوف أقوله لك.. يخبرنا التاريخ العربى وعلى الأخص المصرى والفلسطينى فى فترات المد الثورى والوطنى يصبح جميع الناس وطنيين حتى الراقصات وتجار المخدرات وفى فترات الجذر والتراجع والاستسلام لسطوة القوى الأجنبية يظهر الوطنيون الحقيقيون المستوعبون لتاريخ أوطانهم يقبضون على ثوابتهم الوطنية كالقابضين على الجمر يواصلون مسيرة النضال بدأب وصلابة لا يحنوا رؤوسهم ولا ترهبهم الضغوط والسجون والمعتقلات مهما اشتدت وطأتها ولا تبهرهم الإغراءات من مناصب وأموال مهما سطع بريقها الزائف.. هذه قصتنا قصة الشعب المصرى مع التطبيع ولكن أود أن ألفت نظرك إلى أن تصاعد النضال الفلسطينى وبطولات الاستشهاديين فى مواجهة المغتصب الصهيونى هى صاحبة الفضل الأول والأساسى فى كشف الأساطير المضللة التى نسجتها الصهيونية منذ أوائل القرن العشرين وتحالف معها المتواطئون والمستسلمون من الحكومات العربية، وجماعات المصالح، لقد انكشفت حقيقة الصهيونية كحركة عنصرية استعمارية، لقد أصبح القاصى والدانى من بلجيكا شمالاً إلى جنوب أفريقيا جنوباً والصين شرقاً والأرجنتين غرباً أصبح الجميع فى جميع أنحاء الأرض يدركون حقيقة الوطن الفلسطينى المغتصب وحقيقة الصهيونية وزبانيتها من العملاء الخونة. هدأت الصحفية ثم قالت: ولكن لا يزال الطريق أمامنا طويلاً وشاقاً حتى يسترد الشعب الفلسطينى سيادته على كامل ترابه الوطنى وحتى تتطهر الأرض العربية من هؤلاء المغتصبين.. قلت لها: هذه ضريبة الانتماء إلى الأوطان وهذا هو الفرق بين الوطنيين الحقيقيين وبين هؤلاء الذين يسايرون الموجة والذين أسميهم خدم المراحل المنحطة فى تاريخ الوطن.

العربى الناصرى - مايو ٢٠١٠

30 البكاء على أبواب الكعبة

هذه الأمنية الغالية التي تتمناها معظم النساء المسلمات خصوصًا المتدينات والتي تستعين بها النساء الشعبيات في دعواتهن وأمانيهن للأحباب بزيارة قبر الرسول والكعبة المشرفة كانت بالنسبة لي تجربة مؤجلة لأسباب عديدة ولكن عندما جاء أوانها وتوفرت الرغبة والإمكانات والصحبة قررت أن أعيشها بصحبة نجلي ، كانت البداية في المدينة المنورة التي كنت دائمًا أستعيد ما سمعته وعرفته عن أهاليها المعروفين بالسماحة ودماثة الخلق وشوارعها وأحيائها التي تشع سكينة وطمأنينة وصفاء .

الذين أفسدوا صفاءها بأصواتهم الجشة ينادون على أردأ ما أنتجته المصانع الآسيوية الصينية والكورية والهندية من ملابس ولعب أطفال وموبايلات لأن المنتجات الجيدة أصبحت حكرًا للمولات «المتاجر الكبرى» التي تمتلئ بها فنادق المدينة ، وقد أثار دهشتي تكرار المحال التجارية التي تبيع نفس السلع دون محاولة للتنويع أو التخصيص .. في الحرم النبوي ذلك المكان المقدس الذي يضم قبر الرسول ﷺ ويتكون من عدة ساحات للنساء والرجال وتبدأ منها المداخل إلى المسجد وكل مدخل يحمل اسم أحد الصحابة فهناك باب عمر بن الخطاب وباب علي بن أبي طالب وباب عثمان بن عفان وتتصدر هذه المداخل عدة صفوف من الأنابيب الضخمة ذات الحنفيات الحديثة المملوءة بماء زمزم وبجوارها صفوف من الأكواب البلاستيك التي تُلقى في السلة بعد استخدامها ، لقد أسعدني الاعتناء الفائق بالحرم معماريًا وتأثيثًا وإشرافًا ورعاية وتذكرت يوم أن كنت طفلة في الأربعينيات عندما سألت أمي عن معنى شعار

«ساعدوا فقراء مكة والمدينة» الذي كان يملأ حوائط البيوت في حي روض الفرج وشرحت لي أمي حينذاك ما المقصود بفقراء مكة والمدينة ولماذا نساعدهم قالت : «إن مصر دولة تملك إمكانيات وفيرة والدين يأمرنا بأن نساعد إخواننا الأفقر والأكثر احتياجًا » سرحت طويلاً فيما آلت إليه أحوالنا بعد ظهور النفط وهرولة المصريين إلى حيث توجد المراعي الجديدة ولكن لم أمنع نفسي من التساؤل هل وجد المصريون في الأرض المقدسة المعاملة التي يستحقونها من إخوتهم في الدين وفاء لما قدمه أجدادهم للأسلاف من أهالي الحجاز ونجد ومكة وسائر مدن المملكة الذين خصهم الله بأعظم رسالة على أيدي خاتم المرسلين وحبتهم الأرض بالثروة السوداء فالحظ قد طوقهم من السماء التي لم تبخل بالرسالة المحمدية كما أن الأرض لم تضن بالنفط وهنا أتوقف لدى مقولة سمعتها من أحد الإخوة من أهالي الطائف والخبر عندما أخبرني عن سؤال طرحه عليه ابنه الذي لم يتجاوز العاشرة قال : «لماذا لم تنزل الرسالة المحمدية في مصر ونزلت هنا في الجزيرة العربية؟» فأجابه الأب قائلاً : «إن مصر لم تكن في حاجة في ذلك الزمان للرسل والأنبياء لأن حضارتها قديمة وخرج منها فكر التوحيد على يد إخناتون منذ خمسة آلاف عام ولكن أهالينا هنا في الجزيرة العربية كانوا أحوج ما يكونون للأنبياء موسى وعيسى ومحمد الذين جاءوا لإنارة الضمير الإنساني والارتقاء بالنفوس والعقول والأخلاق » .

وعندما أعود إلى الحرم النبوي في القاعات المخصصة لنساء التي تشهد تزاحمًا شديدًا حيث تختلط الأصوات واللهجات واللغات فنسمع العربية قليلاً ولكن الهوسا والأردو والتركية والصينية والهندية والفارسية تتداخل ويلهو الأطفال بالعرائس والبنادق الصغيرة وفجأة يعلو صوت المطوعة منذرًا ومنبهًا نحاول تنظيم هذا الحشد النسوي والجنوني تتشابك بعض اليدي وترتفع بعضها الآخر محملة بالصنادل والشباشب .. رهبة المكان وفخامة المعمار الإسلامي المزود بكل ما استحدثته

التكنولوجيا من إضافات تتناقض تمامًا مع بؤس هذه الحشود وتدني السلوكيات وانفجار الألسن بالشتائم والدفع بالأكواع والأقدام من جميع الألوان البشرية البيضاء والسوداء والصفراء والقمحية والبنية يختلفون في الأعراق والأجناس واللغات ولكن يجمعهم الزي الإسلامي العباءة السوداء التي تخفي جسد المرأة وفي معظم الأحيان وجهها . أكوام نسائية حاشدة من المتحجبات والمنتقبات اللواتي فقدن القدرة على التزاحم والتفاهم ولكن يجمع بينهن غضب مكتوم وقهر مزمن الذي يظهر في سلوكيات الزحام نادرة هي الوجوه النسائية السمحة أو المبتسمة تأملت العيون الجميلة المختفية خلف النقاب ولم أتبين في البداية حقيقة ما تخفيه هذه العيون القلقة المنكسرة ولكنني استقبلت بعض الإشارات من عيون هؤلاء النسوة ينم بعضها عن الرضا والاستسلام ولكن معظمها يعكس حالات من القلق والمعاناة الدفينة التي لم تفلح العيون في إخفائها أو مداراتها . كم عمر الغضب لدى هؤلاء النسوة؟ وماذا ورثن عن جداتهن وأمهاتهن؟ بعض العجائز المتشحات بالسواد وأحيانًا بأثواب بيضاء كن ينتحبن بحرارة تدمي القلب ويتوجهن إلى قبر الرسول رافعات أيديهن بالدعاء على من ظلمهن واغتصب حقوقهن وكن يختمن الدعاء بأن الرسول أوصاهن بالصبر وأن الله يمهل ولا يهمل وأن الجنة هي مثوى الصابرين والصابرات وهن الصابرات المكلومات لا يطلبن من الله سوى الستر ، الستر كلمة سحرية سمعتها بعدة لغات وكنت أحرص على أن أستفسر عن المعنى ودلالته في أذهان الكثيرات ممن صادفتهن أمام قبر النبي ﷺ كانت أكثر الدعوات بالصحة والستر والتوبة والهداية لمن ظلموهن .

لماذا عجز هؤلاء النسوة سواهم من الرجال في استلهام روح الرسالة النبوية والقيم العظيمة التي أفنى الرسول حياته من أجل إرسائها ونشرها بين البشر ، قيم التسامح وليس الاستسلام ، إحقاق الحق والدفاع عنه وليس إهداره واغتصابه ، المودة والرحمة وليس التنابذ والشقاق والغطرسة ، لقد حمل لنا الرسول رسالة نبيلة تحث على الجهاد

من أجل إرساء العدل والرحمة والحرية ومناصرة الحق ولكن أين نحن من كل هذا؟ وهل تحولت العمرة إلى وسيلة للدعاء والتنفيس عن الظلم والقهر وهل يصلح دعاء العجائز والمقهورين كبديل عن الوعي وامتلاك إرادة التغيير والثورة على الظلم والقهر؟ تساؤلات طافت بذهني وظلت معلقة دون إجابة ، في إحدى المرات ضللت أنا ورفيقتي طريق الخروج من الباب الذي جئنا منه وإذ بنا نلتحم بحشود رجالية تتراوح ما بين ذقون بيضاء وسوداء وركبت عليها وجوه وطواقي وأيدي تمسك بالمسابح الطويلة وأجساد تحمل السراويل الملونة والبيضاء وتعلوها أكوام غامضة من الأردية والشيلان ويفتقر بعضهم إلى الحياء بل يحاولون بكل الطرق الاقتراب من النساء إلى حد الالتصاق بأكتافهن وأردافهن ويتطاير الشرر من عيون النساء محاولات بأيديهن وألسنتهم دفع هذا الجنون الذكوري الكامن في عيونهم والذي لم يتحشم أو يتوارى حتى أثناء الزيارة المقدسة .

الزحام كان شديدًا في جميع الأوقات سواء في صلاة الفجر أو الظهر أو العصر والمغرب والعشاء وقد تعلمنا أن سلوك الحشد أثناء الزحام دائمًا ما يعكس حقيقة البشر عندما تتحكم فيهم الغرائز البدائية الميل لإزاحة الآخر واختراق «الصفوف دون استئذان واستخدام الأكتاف والأكواع والأقدام أحيانًا والمثير للانتباه لحظة التفتيش عند البوابات ووقوف النساء في استكانة وتوسل أمام حارسات المسجد النبوي ثم استئنافهن للروح العدوانية والهرولة والتكالب على حنفيات مياه زمزم ورغم كثرتها ورعاية مشرفات النظافة إلا أنها كانت مرآة صادقة لحالة الفوضى الأنانية التي لا تزال تسكن وتعشش في نفوس المعتمرات وتنعكس على سلوكياتهن المنفرة ، وجوه نسائية وردية وأخرى ضامرة وثالثة شاردة ورابعة تنضح بالأسى والتعاسة جميعهن أتين يبحثن عن الخلاص والطمأنينة والاغتسال من الذنوب والشكوى المرة من الظلم وأنانية وجشع ذوي القربى ، وعدم الإنصاف ، إن التزاحم الشديد حرمني من

الاستمتاع والتأمل والتواصل الروحي كما أطاح بروح الطمأنينة والجلال التي تحيط بالمكان فقد أسرعت معظم المعتمرات عند دخول الأرض الشريفة إلى إلقاء أثقالهن وأكوام الحزن والقهر المكبوتة وانفجرت به في بكاء مرير وارتفعت الأيدي المحمومة بالدعاء والتكبير واختلطت الأصوات المشحونة بالشجن والعويل مع صراخ الأطفال . في هذا المناخ الهستيري لم يعد هناك أدنى أمل في خلق التواصل والتفاعل مع ذكرى هذا الإنسان المبدع الذي حاول ترويض أعتى البشر وأشرسهم وغرس تلك الدعوة النبيلة والرسالة المحمدية الجليلة ، في طريقنا من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة لزيارة الكعبة الشريفة كانت البداية في الأوتوبيس عندما أرهفنا السمع إلى أحد لواءات الشرطة الأجلاء الذي شرح لنا بصورة سلسلة ومبسطة مناسك العمرة وأخذت أستعيدها مع نجلي تجنبًا لأي خطأ غير مقصود وعند الوصول إلى مكة أذهلتني الأبراج الاستثمارية العالية التي تحاصر الكعبة حتى أصبح من العسير تبين موقعها ولكن ظل المكان المقدس محتفظًا بجلاله ورهبته خصوصًا عند رؤية الكعبة وترتفع الأيدي بالتحية للحجر الأسود وترتمي النساء على أستار الكعبة وتنكفئ رؤوس الرجال تلهج بالدعاء والأمل في التوبة والنجاة من عذاب النار ولم أسمع دعاء واحدًا لنصرة الشعب الفلسطيني وتحريره من الاحتلال الصهيوني أو تحرير الشعب العراقي من الاحتلال الأمريكي أو الشعب الأفغاني أو أي دعاء للشعوب وحقها في حياة عادلة وآمنة بل اقتصرت الدعوات على الأماني الشخصية للأهل والأصدقاء بالصحة والنجاح والستر والنجاة من عذاب النار ولم أسمع أي دعاء بأن يحمينا الله من الخوف والخنوع والحماقة والغباء والاستسلام للقوى التي تنهب أقواتنا وتدوس على كرامتنا وتهدر حقوقنا بل تغتصبها ، ولكن أثناء طوافي بالكعبة اخترق أذناي دعاء أحد المعتمرين يقول : «ربنا يفك أسر مصر، قادر يا كريم» أحسست بقدر من الراحة وتمنيت أن يطور هؤلاء المسلمين والمسلمات دعاءهم ويحاولوا تجاوز ذواتهم الضيقة ودعواتهم الذاتية والفردية ،

لقد تأملت تلك الدعوات المفرطة في الذاتية والتي كان يرددها المعتمرون في ذات الوقت الذي كانت شاشات الفضائيات تتحدث عن حرق الصهاينة لأحد المساجد بالضفة الغربية ولم نسمع دعاء واحد ضد الصهاينة أو ضد الحكام المستسلمين ، إن الجموع الحاشدة من المسلمين كانوا يطوفون حول الكعبة كأفراد يفتقرون لروح الجماعة يملأ قلوبهم الخوف والرغبة في التوبة من الذنوب التي ارتكبوها وكأنهم جاءوا فقط للتطهر وطمأنة الذات وليس لاستلهام روح الإسلام الحقيقي التي تحثنا على التواصل الإنساني ومقاومة الظلم والجهاد من أجل حياة عادلة والذود عن الأراضي المقدسة ورد العدوان الصهيوني عن بيت المقدس .. حقًا ما أتعس وأبأس أحوال المسلمين في عالم ترتفع فيه هامات الظلم وقوى البغي الذين يواصلون انتهاك حرمة الإسلام وديار ه ومساجده وإذلال أهله . إن الإشكالية التي واجهها الرسول منذ ١٥ قرنًا لا تزال مستمرة وهي سلوك البشر والسباق الجنوني بين التعلم والكارثة وأخشى أن أستعيد مأثورة المؤرخ البريطاني الشهير هـ.ج. ويلز بعد أن عاصر الحرب العالمية الأولى إذ قال : «إن تاريخ الحضارة الإنسانية ما هو إلا سباق بين التعلم والكارثة وإني أرى أن الكارثة قد ربحت السباق ، ولكنني أختلف مع هـ.ج. ويلز فالكارثة أي الجشع والأنانية والفردية والتعصب وتهميش الآخر قد تنتصر هذه القيم السلبية في مرحلة ما ولبعض الوقت ولكنها لا يمكن أن تنتصر طوال الوقت .

سلام وإجلال للنبي العظيم وصحبه الكرام من الأبرار والشهداء .

العربي الناصري – مايو ٢٠١٠

31 المفاجأة المدهشة !

كنت عائدة إلى منزلي بعد يوم مرهق أمضته في حوارات علمية مع بعض علماء وأساتذة الأعلام بالمجلس الأعلى للجامعات في إطار حلقة نقاشية امتدت ٤ ساعات وفي أثناء العودة تذكرت ضرورة مروري على السوبر ماركت لشراء بعض اللوازم الغذائية وعند تقاطع شارع مراد بالجيزة فوجئت برجل المرور يستوقفني ويطلب الرخصة ومقابلة السيد ضابط المرور المختبئ في الكمين على الجانب الآخر من الشارع ، فخرجت من السيارة واتجهت إلى الضابط وقدمت له رخصة القيادة والسيارة وكدت أسلمه الرقم القومي ورجوته أن ينهي إجراءات المخالفة ودفع الرسوم المطلوبة رغم أنني كنت أسير خلف سيارتين سبقتاني في نفس الطريق وعندما أخبرته بهما قال إنه لم يرهما وفي أثناء حديثي معه جرت أمامنا عربة كارو اجتازت الطريق الخطأ وقطعت الشارع بمنتهى الثقة والاطمئنان ونبهت الضابط إلى ذلك ولم يجب وأصر على عدم إنهاء الإجراءات بل تجاوز حدود اللياقة بقوله إني سوف أذهب إلى نيابة المرور وسيتم حبسي أربعة أيام وغرامة ألف جنيه مقابل استرداد الرخصة .

وحاولت أن أتماسك بعد أن أصابني الدوار وأخبرته بأنه ليس من اللائق أخلاقيًا أن يتحدث معي بهذه الصورة فأشار بيده وخرج من السيارة وبدأ التهديد .

عدت إلى منزلي وقد احترق دمي وارتفع معدل السكر وكدت أصاب بغيبوبة .

فهل هذه مهمة الشرطة في التعامل مع الجمهور؟ وهل يدرك هذا الضابط أن

سلوكه غير العادل والخالي من الإنسانية سوف يضاعف من تشويه الصورة الذهنية لرجال الشرطة لدى الجمهور؟ لقد استطعت باتصالاتي أن أسترد الرخصة وكانت المفاجأة المدهشة هي المستوى الرفيع من التعامل والتفاهم لدى قيادات المرور خصوصًا مدير مرور الجيزة اللواء كامل ياسين ، حيث اكتشفت الفجوة الهائلة بين مستوى القيادات ومستوى رجال الشرطة في الشارع ، من أمناء يبتزون الجمهور ويستغلون براءتهم وعدم إلمامهم باللوائح ويطلبون إتاوات كان ضحيتها نجلي خلال شهر رمضان الماضي عندما اعترضه أمين شرطة في ميدان التحرير وحصل على مائة جنيه دون وجه حق ودون إيصال وكتبت عن تلك الواقعة في حينها ، لقد أثارت هذه الوقائع وغيرها الكثير من التساؤلات التي أطرحها على وزارة الداخلية لإعادة النظر في تأهيل الضباط والأمناء ، ولقد أكد خبراء المرور أن تغليظ العقوبات ليس حلاً ولابد من البحث عن حلول أخرى جديرة بتصحيح المنظومة المرورية بأكملها بعد أن وصلت تكلفة حوادث المرور إلى ٦ مليارات جنيه سنويًا ، و٧ آلاف قتيل و٢٧ ألف مصاب يتوفى منهم عدة آلاف .

كما أكد هؤلاء الخبراء أن أحد أسباب هذه الكوارث سوء اختيار أعضاء فرق العمل وعدم تأهيلهم وتدريبهم مما يترتب عليه سوء اختيار مكان الكمين وأوقاته ، وعدم الاهتمام بوضع إشارات توضيحية لإرشاد الجمهور في الأماكن المهمة ، ويسبق ذلك كله فرض إتاوات ظالمة على المواطنين أو التشدد غير المبرر في التطبيق غير العادل للقانون والكيل بعدة مكاييل يكون ضحيتها المواطن البسيط .

أيضًا صورة رجل الشرطة فضلاً عن تعميق روح العداء وعدم التعاون بين الجمهور والشرطة وهم أعز أبنائنا ومنهم كثيرون يتميزون بالالتزام والنزاهة والرغبة الحقيقية في خدمة الجمهور ، وعلينا أن نعترف بأن مشكلة المرور في مصر لن تحل بجهود وزارة الداخلية فقط بل هناك أطراف رسمية عديدة يجب أن تشارك

فيها أولها المحليات وهيئات التخطيط والتشريع ، والجمهور أيضًا ولكن ليس من العدل والنزاهة أن يدفع الجمهور الثمن وحده .

وفي النهاية أتمنى أن أجد أذانًا صاغية من المسئولين عن مشكلة المرور في مصر .

الأهرام ٢٥/ ٥/ ٢٠١٠

obeikan.com